عبد العال الحمامصى

أحاديث حول
الأدب والفن والثقافة

أقرأ

تصد أول كل شهر

{٤٣٧} – يوليو – ١٩٧٨

رئيس التحرير: أنيس منصور

عبد العال الحمامصي

أحاديث
حول الأدب
والفن والثقافة

دار المعارف

تصميم الغلاف: **نادية النحاس**

الناشر: دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج.م.ع

فهرس

مقدمة..... ٧

توفيق الحكيم..... ٨

أحمد رامي (٢ حديثان) ١٢

..... ١٧

د. حسين فوزي..... ٢١

نجيب محفوظ (٣ أحاديث) ٢٦

..... ٣٤

..... ٤٢

د. محمد عزيز الحبابي (المغرب) ٤٨

د. شوقي ضيف..... ٥٩

د. رشاد رشدي..... ٦٥

مولود قاسم (الجزائر) ٧٢

ثروت أباظة..... ٧٨

سعد مكاوي ٨٧

د. محمد الظواهري ٩٣

أحمد كامل مرسي ١٠١

مرسي جميل عزيز ١١٠

محمد جبريل ١١٨

فاطمة سليم (تونس) ١٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

* عندما أقدمت على إجراء هذه الأحاديث التي يحتويها هذا الكتاب خلال فترات متراوحة.. كنت أستهدف- ود أتيحت لي فرص نشرها والالتقاء بالأستاذة الذين أجريت معهم وبعضهم تربطني بهم صداقة وثيقة أشرف بها- أن أقدم شيئًا يفيد حياتنا الأدبية والفنية.. مسترشدا بمعايشتي لما قدموه في مجالاتهم الإبداعية المختلفة.

فلم تكن هذه الأحاديث هنا مجرد "دردشة" عابرة تتبدد بمجرد انطواء مناسبتها فقد حرصت على أن تكون ذات طابع يكفل لها الاستمرار متخطية بذلك أسوار الزمن الذي أجريت فيه.. والفضل في ذلك يرجع إلى الذين التقيت بهم فهم أصحاب مادة هذا الكتاب. ولم يكن لي غير أنني أدليت بوعائي فامتلأ بفيض ينابيعهم.

وإذا كانت بعض جزئيات هذه الأحاديث تتعلق بمناسبة أو قضية كانت مطروحة وقتها فقد توخيت من السؤال أن تكون الإجابة بشأنها بمثابة وثائق حولها. وآمل أن تكون هذه الأحاديث قد ألقت ضوءًا على أعمال الذين أجريت معهم لتتاح للقارئ رؤية أكثر اتساعًا عن هذه الأعمال وأصحابها وأن يسترشد بهذه الرؤية عند مسيرته في دروب عوالمهم الإبداعية.

والحقيقة أ نبعض الإجابات في هذه الأحاديث يمكن أن تكون نوعًا من الإضافة لما سبق أن أعطاه أصحابها من قبل أدبًا وفنًا.. فنحن من خلال هذه الأحاديث نقف وجها لوجه أمام أعماله ومواقفهم ومكوناتهم ورؤيتهم حول مختلف القضايا التي تتحاور في ساحتنا الثقافية.

بجانب هذا فقد استهدفت أيضًا أن أكون واحدًا من الذين قاموا بمحاولات لتدعيم وترسيخ وإبراز ملامح وقسمات "الحديث" الأدبي والفني.. فالحقيقة أن هذا النوع ليس طارئ الوجود.. فله رواده الذي تعلمت منهم.. ولكن المحاولات المتميزة في مجاله كانت محدودة.. وأملي أن تكون هذه المحاولة من جانبي لبنة تضاف إلى بنيانه.. وأن تكون قد حققت ما استهدفته. وأن تكون في المستوى الذي يؤهلها لأن تمكث في أرض حياتنا الثقافية.. والله ولي التوفيق،،

عبد العال الحمامصي

توفيق الحكيم

إمكانات العلم.. وليست مجرد رؤية الفنان!

* في عصرنا هذا.. لم يعد الطعام وحده هو الحاجة المادية الوحيدة للإنسان، هناك احتياجات أخرى على نفس الأهمية.. المسكن اللائق.. والمكان المتاح في المدرسة والجامعة.. والسرير في المستشفى.. والمواصلات المكفولة المريحة.. بجان حق التمتع بما أحدثته الثورة الصناعية من منتجات.. والأخذ بنصيب عادل من معطيات الحاضرة وأفانين الثقافة.. وضروب الفنون.

ومنذ ثلاثة عشر عامًا تقريبًا أطلق مفكرنا وفناننا توفيق الحكيم دعوته مناديًا بالطعام لكل فم.. انطلاقًا من إحساس مفكر وفنان تؤرقه مشاكل عصره.. وهموم إنسان هذا العصر.

وعاد مؤخرًا يكرر هذه الدعوة في مواجهة عالم متخم بالثراء في جانب منه.. بينما أغلبيته في مناطق كثيرة تتساقط من الجوع.. وتفتك بها الأمراض.. وتفتقد مقومات الحياة.. كما ينبغي أن تكون الحياة.

الجديد في دعوة توفيق الحكيم تأكيده بأن في مقدور العلم أن يكفل هذا.. أن يكفل وجود علام خال من الجوع. ومن هنا ينبثق السؤال.. هل اعتمد الحكيم في دعوته تلك على شفافية الفنان فيه ومعاناته واستشراقه– عل اعتمد الحكيم في دعوته تلك على شفافية الفنان فيه ومعاناته واستشرافه– بحكم هذه الشفافية وهذه المعاناة– العالم الأفضل أم اعتمد على رؤية موضوعية لإمكانات العلم الراهنة.. وإمكاناته المحتملة والمتوقعة.

وهل يمكن أن يرفع الحكيم شعار دعوة مماثلة..؟

دعوة تنادي بالمسكن لكل مواطن.. والمقعد في المدرسة والجامعة لكل راغب في التعليم والعلم.. السرير في المستشفى لكل مريض.. وهل يجد أن العلم يمكنه أن يحقق لنا هذا.ز كما اعتقد بأن العلم في مقدوره أن يوفر الطعام لكل فم..؟

هذا ما طرحته على مفكرنا وفناننا الكبير توفيق الحكيم.

رغم تزايد السكان.. سيكون الطعام لكل فم:

- **قلت لتوفيق الحكيم**
- دعوتكم التي نادت بتوفير الطعام لكل فم.. والتي جزمتم بقدرة العلم على تحقيقها.

هل هي حلم فنان يحتضن هموم الإنسان.. ويتوق لأن يجد الحلول لمشاكله أو تجاوزت ذلك- أغني رؤية الفنان- واعتمدت على مقياس حقيقي لإمكانات العلم الراهنة والمتوقعة. وهل وضعتم في الاعتبار الزيادة المهولة في معدلات نمو السكان؟؟

- وأجابني توفيق الحكيم بقوله:

هذه الدعوة جذورها أصلاً في آمال الإنسان.. وأحلام الفنان.. وتجدها عندي في كتاباتي القديمة.. في الثلاثينيات مثل "يوميات نائب في الأرياف" "مشكلة الحكم" وفي الأربعينيات في مثل "سلطان الظلام" إلى أن فجرت الذرة في الخمسينيات. وظهرت بوادر القوة الهائلة التي أنتجها العلم الحديث، فبدأت عند الآمال تأخذ طريق الإمكان.

وجاء ذلك في "رحلة إلى الغد".. ثم تأكد عندي ما يستطيعه العلم في إنهاء الجوع، فكتبت في الستينيات الطعام لكل فم.. ونحن الآن في السبعينيات فلم يعد عند شك في قدرة العلم.. ووجدت المسألة قد تجاوزت الإطار الفني والأدبي. للدخول مباشرة في العمل الفعلي على تحقيق ذلك.

- قلت:

عندي ثمة تساؤل.. اقتصرت دعوتكم على "الطعام لكل فم" هل تعتقدون أن إمكانات العلم قادرة على إيجاد الحلول لاحتياجات أخرى أساسية.. المقعد الميسر لكل راغب في التعليم. والدواء لكل مريض؟

– بالطبع.. إن العلم الحديث إذا وجه إلى حل مشكلات الاحتياجات الأخرى للإنسان فإنه يستطيع حلها بسهولة.. فهي ليست عنده بأصعب من توجيه مركبة على سطح المريخ وإصلاح ذراعها وأمرها بالتقاط الصور من مسافة مائة مليون ميل!!..

العلم قادر...

والإنسان يفضل اللعب:

- ومتى في اعتقادك– مادمت متفائلاً إلى هذا المدى– يمكن أن يتحقق الحلم.. أفي قرننا هذا.. أو في قرن آت.. أو متى؟!
- متى يتحقق هذا الحلم، حلم الطعام لكل فم.. في اعتقادي أن العلم قادر.. ولكن الإنسان هو غير القادر.. الإنسان الذي لم يزل في مرحلة الطفولة السلوكية إنه يفضل اللعب على الأكل.. وكل من في بيته طفل يعاني من ذلك عندما يجئ وقت الغداء ويحاول جاهدًا أن ينتزع طفله من بين لعبه كي يتناول طعامه.

العلم العجيب الخارج من رأس الإنسان الطفل وجهه إلى صنع صواريخ ومفرقعات يلعب بها ونسى الطعام..

إلى متى؟ هنا المشكلة الحقيقية!

الشعوب هي التي تجوع.. وعليها أن تقوم بالتمويل:

- عدت أقول.

أعتقد أن دعوتك تلك لا يمكن أن تحققها دولة بمفردها. أقصد على مستوى العالم بأسره.. لابد من تعاون عالمي لإنجاز هذه المهمة والحلم..

هل تعتقد أن التقدم الحضاري يمكن أن يلغي الإقليمية والإحساسات العرفية ونعرات الكيانات القومية لتعمل الإنسانية بأسرها. والدول بأجمعها في قافلة موحدة من أجل الوصول إلى هذا الهدف.. وهل سيأتي هذا اليوم.. أيمكن أن يأتي؟– فعلاً.. دعوتي لا يمكن أن تحققها دولة بمفردها.. فعالم متفرق.. كما هو متكامل..

والعلماء والخبراء ينتمون إلى دول وجنسيات مختلفة. ولكن ما ينتجونه من علم يكمل بعضه بعضًا.. ولذلك فلابد من تجميع وتوحيد البعض من العلماء والخبراء المؤمنين بالفكرة.. فكرة توجيه العلم إلى هذه الغاية.. وإذا خرجوا بعد بحوثهم بخطة عملية ولم يبق غير التنفيذ. وما يتبعه من تمويل.. فإن الأمر يصبح في أيدي الشعوب.. لأن الشعوب هي التي تجوع وعليها أن تتكاتف وتتعاون لتحقيق عملية التمويل.

ولكن.. هل الشعوب موحدة في كيان واحد؟.. أو أنها مختلفة ومتفرقة في كيانات وقوميات وحساسيات ونحو ذلك؟

هذا أيضًا من أهم المشكلات! وحتى لو اتحدت الشعوب في هذا الهدف بمعزل عن هذه الاعتبارات فما هو موقف الحكومات. والسلطات والسياسات؟ كل هذه معضلات ومعوقات.. وكلن يبقى العلم قادرًا ومنتظرًا، وعلى كل عقل وقلب وضمير. أن يعمل بما في يده من فكر وقلم وفعل حتى يتجه الجميل إلى هذا الهدف.

أما متى يأتي ذلك اليوم. بأمره عند ربي. وليس لنا إلا أن نأمل في حكمة الشعوب. وفي مستقبل الإنسانية.

ولي أمل خاص في الشعوب العربية.

فهل سنسمع صوتها؟! إني منتظر!

يناير سنة ١٩٧٧

الشاعر أحمد رامي

التطور.. لابد أن يكون من صلب الشيء ذاته!

لن أتحدث هنا عن رامي الشاعر الكبير بدواوينه النابضة بأرق أشعار العاطفة المتسامية والوطنية الدافقة.. ولا عن رامي عملاق الأغنية المصرية ودوره في الانطلاق بها من الترخيص والابتذال إلى ذرى الفن الرفيع.. ولا عن رامي صاحب أروع ترجمة لشعر الخيام تمكنت من النفاذ إلى أعماق هذا الشاعر الفارسي. وسبر أغواره الوجدانية. وجاءت بما يجعلها إضافة حقيقة للشاعرية العربية.

ولن أتحدث عنه مترجمًا ولا كاتب قصة منذ مطلع شبابه ولا مؤلفًا للمسرح اشعر وقصص بعض أفلام الراحلة الخالدة أم كلثوم.. فكل هذا يعرفه القارئ عنه ولا جدوى من تكراره،

ولكني سأتحدث عن لمسة وفاء بدرت من صاحب القلب الذي لم ينبض على مدى حياته إلا بالحب.. لسمة وفاء هزت وجداني في عصر أقفر من الوداد الصادق.

في الصباح توجهت إلى منزله في حدائق القبة. وجدته متألق الروح تنطق بالفرحة كل مشاعره، فبل دولي بدقائق أن قد تسلم رسالة من الشاعر صالح جودت الذي يعالج الآن في لندن– شفاه الله وأعاده لوطنه معافي– كانت الرسالة تحمل إليه أخبارًا مطمئنة عن صحة صديقه الذي أجرى عملية ناجحة.. رأيت رامي يكاد يبكي من فرط الفرح.. وجدته يبادرني بالرسالة ويتلوها على في إحساس من امتلك كنوز الدنيا كلها.. يا عصرنا. برغم كل ما يقال فيك، لم تزل بعد بخير.. ومازالت قلوب الناس عامرة بهذا الشيء الذي يعطي الحياة معناها.. بالحب.

قلت للشاعر أحمد رامي

مستقبل الأغنية الطويلة وكذلك أغنية القصيدة الشعرية ما هو توقعك له على ضوء إمكانات الأصوات الغنائية الموجودة.

"لا أدرى.. أكان يتألم لم آلت إليه حال أغانينا.. أم كان يسخر من سذاجتي وهو يجيبني بنبرات متهكمة:

"الأغنية الطويلة.. ليس لها حاضر حتى يمكن أن يكون لها مستقبل.. لأن طاقة المغنى والسامع أصبحت محدودة. أصبح الاستماع الطويل للغناء مفقودًا في هذ العصر الذي ساده القلق وانتشر فيه الوهم واندفع الناس إلى الاستمتاع بالحياة في سرعة وانتهاز. وأصبحت الأغنية عبارة عن قطعة صغيرة لا تأخذ من الوقت أكثر من عشر دقائق، أما الشعر فقد نضبت سوقه وانفض عشاقه.. بعد أن انتشرت الأغاني الدارجة. ذات المعاني الهزيلة. والتعبيرات الركيكة وأصبح السامع لا يطيق الصبر على تفهم اللغة الفصيحة التي تصب فيها هذه القصائد. والتي كان يرددا كبار المطربين من رجال ونساء.

قلت:

- أليست هذه نظرة بالغة التشاؤم؟

– لست أقول هذا من قبيل التشاؤم. وإنما من باب الاعتراف بالواقع الماثل فيما أراه وأسمعه في هذه الأيام من أصناف الأغاني.. أصبحت الأغنية الآن مجرد تسلية ولم تعد طربًا.

- في نظرك من هو الملحن الذي استطاعت ألحانه أن تتجاوب مع إمكانات كوكب الشرق أم كلثوم؟

– بدأت أم كلثون اختيار الملحنين الممتازين في عصرها، من أبو العلاء محمد إلى عبد الوهاب وقد اختارت القصبجي وهو قمة في التلحين.. ثم زكريا أحمد وهو آية في اللحن الشرقي ثم السنباطي وألحانه هي الإبداع بعينه.. ولا أدرى في كل من لحن لأم كلثوم إلا قادرًا على إظهار مفاتن صوتها وسر المعاني في الأغنيات التي تشدو بها.

- ما رأيك في الألحان التي وضعت لأغانيها الأخيرة؟

– الألحان الأخيرة التي قدمت للسيدة أم كلثوم تختلف عن الألحان التي سبقتها.. لإدخال بعض الآلات الإفرنجية في هذه الألحان والاقتصاد في الجمل الموسيقية والإكثار من الطبل والزمر الذي كان يشوش على صوتها فلا تستبين ألفاظها كما تعودنا. وانعدمت في هذه الألحان الطبقات العالية من ذلك الصوت الرخيم والانفراد بالغناء في جو تسكت أو تخفت فيه هذه الآلات. لدرجة أن صوتها أصبح عبارة عن آلة من هذه الآلات الموقعة.

- البعض يتهم موسيقانا الشرقية بما لا يتلاءم مع عصر راكض الخطو متلاحق الحركة، في رأيك هل يقف هذا الاتهام على أرضية حقيقية. أم أن الموسيقى الشرقية تحمل خصائص ملاءمتها لحياة عصرنا المتحركة أبدًا..؟

– الذين يقولون هذا هم أجهل الناس بالموسيقى الشرقية، بل لعلهم أجهل الناس بالموسيقى عمومًا. فالموسيقى الشرقية هي أوسع موسيقات العالم ميدانًا في علم الطبقات وعلم الأوزان وعلم الألحان. وهي نبع سخي لكل الموسيقات التي لحقتها.

وإن كان فيها شيء من الرتابة كما يزعم البعض فهذا مرده إلى ضعف المغني والملحن لا ضعف الموسيقى نفسها. وعلى أي حال لا يتوجد الرتابة إلا في أنواع الأغاني القصيرة "الطقاطيق" وهي التي يردد فيها نفس اللحن في كل مقطع من الأغنية... أما التغني بالقصيدة والمونولوج والقطعة الوطنية أو الوصفية وغيرها فهي عامرة بالألحان التي تتلون وتتغير في كل مقطع. وقد بلغت الموسيقى الشرقية من السعة بما يمكنها من أن تبلغ من التطور في إهابها ما يجعلها تغني عن الاقتباس من الموسيقى الغربية. ولا أرى أن يكون التطور في شيء إلا من صلبه ذاته..

- هناك شبه إجماع على أن الأغنية المصرية تجتاز أزمة، هل يكون سر هذه الأزمة هو افتقار الأغنية إلى الكلمات الموهوبة.

– أنا لا أعتقد بأن بقاء الأغنية راجع إلى كلماتها أكثر من رجوعه إلى لحنها وإلى الصوت الذي يؤديها. فكم من أغنية هزيلة اللفظ طيبة اللحن اشتهرت أكبر الشهرة. وكم من قطعة غنائية جيدة اللفظ والمعنى ورديئة اللحن كتب لها السقوط.. والرأي عندي أن يتحد اللفظ واللحن في صوت جميل يحسن الأداء لإبداع الأغنية.. ولا أنكر أن معنى الأغنية له دخل كبير في تقدير السامع لها. فإن الإحساس الصادق التعبير. والذوق الخالص في التصوير كفيلان بإرضاء من يستمع إلى الأغنية ولو نزل لحنها أو ضعف المؤدي لها عن المستوى الذي وصلت إليه الكلمات.

- دورك في تطوير الأغنية المصرية والارتفاع بمستواها مسألة لا تحتاج على دليل.. لماذا توقفت عن كتابة الأغاني؟

– أنا شاعر اصدر ثلاثة دواوين. ورباعيات الخيام نقلاً عن الفارسية قبل أن أنظم أغنية واحدة، أنا شاعر، الشعر مهمته قبل كل شيء.. وليس الأغنية هي الشيء الأساسي في إنتاجه.. وأنا لم أنقطع عن نظم الشعر أبدًا سواء أ:ا نذلك في خواطر تعرض لي أم في مناسبات قومية وآخر ما نظمته قصيدتي في رثاء مطربة الشرق السيدة أم كلثوم أما كتابتي للأغنية فأمر يتطلب مني التريث حتى تنقشع عن نفسي تلك السحابة التي ترين عليها.

- ما دمت تعتبر أن الأغنية ليست الشيء الأساسي في إبداعك فما السر الذي جعلك تتجه إلى كتابتها بهذا الاقتصاد وتعطينا أجمل ما ترنمت به أصواتنا الغنائية العظمى.

– بدأت أكتب الأغنية من منطلق الرغبة في خدمة هذا الفن فن الطرب. وفي ذلك العصر السحيق منذ نصف قرن كان يشيع في بعض الأغاني ألفاظ غثة وكلمات مسفة.. وكان علىّ أن أفعل شيئًا. وقد وفقني الله أن ا'طي صورة مشرفة للأغنية كما يجب أن تكون، وقد عاونني في ذلك إخوة وأبناء من الشعراء والمؤلفين.. حتى جاءت الحرب العالمية الثانية وفي ظل ظروفها عاد شيء من الركاكة والاستهانة والانكشاف إلى الأغاني القصيرة الهزيلة.

- كتبت للسينما قصة "وداد" و "دنانير" من أفلام أم كلثوم.. لماذا لم تكتب بعدها للسينما.؟

– في مطلع حياتي الأدبية كنت متعدد الاهتمامات.. فقد نشرت طائفة من القصص في مجلة "السفور" وألفت رواية مسرحية هي "غرام الشعراء" قامت بتمثيلها السيدة فاطمة رشدي.. كما ترجمت خمسة عشرة رواية للمسرح.. ولكني بعد ذلك آمنت بالتخصص.. ولما كان الشعر هو الشيء الأساسي في حياتي فقد اقتصرت عليه ولم أنقطع لتأليف غيره.. وكثيرًا ما طلب مني أن أكتب شيئًا من المذكرات أو البحوث فكنت أرفض توافقًا مع مبدأ التخصص الذي التزمت به والذي وجدته يلائم طبيعتي الخاصة. فأنا ابن الخواطر يعرض لي المعنى الجدير فأنظم فيه.. لقد خلقت لأرسل الأبيات نحوي لنفسي وسمرًا لأحبائي وقرائي.

- أغلب شعراء الشطرين يرفضون الشعر الحديث.. ما هو موقفك أنت منه؟

– ليس هناك شعر قديم وشعر حديث. فالشعر هو البحر والقافية فإن خرج عنهما فليكن اسم غير ذلك.. أما قولهم شعر الشطرين والتقليدي والقديم وغير ذلك فهذا افتئات على الشعر وانتقاص من قدره.. وليس الشعر مقصورًا على القصيدة ذات البحر الواحد والقافية الواحدة. فإن من أنواعه الموشح والنشيد والمونولوج "القطعة الفردية" والشعر التمثيلي وغير ذلك.. تتنوع فيه الأبحر والقوافي في إ"ار مدروس يخرج عن الرتابة المزعومة في البحر الواحد والقافية الواحدة.. أما أن يقتصر في النظم على التفعيلة الواحدة ثم يرص بها في ألوان من الأشطر المختلفة العدد في هذا١ه التفاعيل والمختلفة الجرس في اللفظ الذي يقف موقف القافية. فهذا خلط لا يستسيغه الذوق ولا السمع. وليبحث أصحاب الشعر الحديث– كما يسميه أهله– عن أسم آخر غير الشعر.. ثم كيف يقال لزجال لا يقيم جملة صحيحة من اللغة العربية وإنما يكتب باللغة الدارجة أنه شاعر غنائي.

وهل هناك شاعر غنائي، وشاعر تمثيلي، وشاعر عزلي.. نحن لا نعرف هذا. أنما نعرف أن هنالك شعرًا غنائيًا وشعرًا وطنيًا وشعراً تمثيليًا.. أليس كذلك..

- وتبقى كلمة

هل أقول لك في النهاية إن شاعرنا الكبير أحمد رامي قد رفض الإجابة عن أسئلة كثيرة كانت في خاطري وطرحتها عليه حول وقاعنا الفني وعناصره.. وهو حر في هذا.. فليس من حقي أن ألزمه بالإجابة عن أسئلة لديه من المبررات ما يجعله يمتنع عن الإجابة عنها.. هذه مسألة بديهية ولكني أذكر هذا من قبيل الدفاع عن نفسي حتى لا أتم بالتقصير من لدن قارئ يرى– وهو محق في هذا – أن هنالك قضايا مهمة كان يتمنى أن يسمع رأي شاعرنا الكبير فيها وقد أتيحت لي فرصة لقائه وإجراء هذا الحديث معه.

مهما يكن من أمر فقد أعطانا الشاعر وجهات نظر ثمينة في قضايا متعددة.. وحاشا أن يكون هو اللوم.. ولكن المحب طماع.. وهذا كل ما في الأمر.. ملاحظة قد تكون سخيفة.. عفوًا شاعرنا. أغفرها.. بحياتك أغفرها..

" ديسمبر" ١٩٧٥

أحمد رامي

لن أكتب شيئًا يغني عدها!!

مهمتي في إجراء حديث مع شاعرنا أحمد رامي دائمًا تكون بالغة الصعوبة، كل مرة اتصل به معربًا عن رغبتي في إجراء حديث معه يجابهني بإجابة أصبحت أتوقعها قبل أن تبدو منه لفرط ما اعترضني بها.. دائمًا يقول لي: ماذا بقى ليقال، لقد أديت بعشرات الأحاديث في كل ما يمكن أن يخطر على بال متسائل.. وأجيب بأن رجلاً في مثل ريادته لا يمكن أن ينضب معينه أو يجف نبع العطاء فيه.. حتى الذي سبق أن قاله ستعطيه جدة الحيوية قيمته هو الكبرى في حياتنا.. مثل أغنية رائعة دائمًا يحن الإنسان لسماعها.. مثل كتاب معطاء دائمًا نعود لقراءته..

وما أقول له هذا تملقًا ليرضخ ويستجيب.. بل أقوله بصدق نابع مما تعنيه الكلمة تمامًا..

في النهاية استجاب شاعرنا أحمد رامي لرغبتي.. ربما تخلصًا من عنادي!!

- قلت لرائد الأغنية المصرية المتطورة أحمد رامي:

رباعيات الخيام التي ترجمتها لنا بطريقة أضافت لها روعة الخلق الذاتي.. هل هي كل ما كتب حكيم نيسابور من رباعيات.. إن كانت توجد رباعيات أخرى لهذا الشاعر فلماذا لا

تقدمها لنا بنفس الشاعرية والاقتدار الذي قدمت به إلى ديوان الشعر العربي ما ترجمته من رباعيات؟

– لو عدت إلى الديوان لوجدت الأجابة على سؤالك جاهزة.. فالمقدمة التي تصدرت ترجمتي لهذه الرباعيات تعرضت لحياة الخيام وشعره وما انتحل ونسب إليه.. ولو كنت قرأت المقدمة لكانت أغنتك عن توجيه السؤال!!

ألجمتني المفاجأة.. ها هو ذا يعريني.. لماذا فقدت ذاكرتي وقد قرأ الديوان والمقدمة أكثر من مرة.

- ولكن الأجيال الجديدة تحب أن تسمع رأيك حول ما جاء في السؤال؟ "جائتني إجابته تحاصرني.. لا فائدة لابد من التسليم بالهزيمة بلا مكابرة.."

– من أدراك أن الأجيال الجديدة لا تعرف.. والرباعيات طبعت ست عشرة مرة على فترات مترامية.. وكانت من الانتشار بحيث تكون المقدمة متاحة لكل الذين تهمهم الإجابة".

- **لو كتبت لنا جديًا من الشعر الغنائي.. فمن من الأصوات المطربة بعد "ثومة" ما تتلاءم إمكانيات الأجاء عنده مع طبيعة شعرك الغنائي؟**

– ما عدت أكتب الأغنيات.. انتهت مهمتي في هذا المجال.. وبالتالي فلا معنى لقراءة طالع مخلوق لم يوجد بعد!

- ولكن رامي الذي كانت الكلمة الملحقة الموسيقية هي توأم خلجاته وأحاسيسه لا يمكن في اعتقادي أن يتوقف عن العطاء المتجدد تجدد الحياة وتوافقًا مع دفق مشاعر شاعر تعودناه دائمًا في عناق مع الحياة؟

– صدقني بأني لا أعتقد أنني سأكتب شيئًا يغني بعدها.. لقد كنت أكتب استجابة لمشاعري وتعبيرًا عن وجداني وهي ملء خاطري.. كانت العبارة الشاعرة توافيني متآخية مع أخيلتي لإمكانيات صوتها ومعرفتي لطبقاته ومكوناته.. الآن بعد رحيلها لا يمكن أذ تطاوعني نفسي على كتابة أغنية أسمعها بغير صوتها!!

- أنت شاهد على عصر حاف بمتغيراته وتطوراته في كل مجال.. ومذكراتك كفيلة بأن تعطينا ملامح هذا العصر بأكمله في الشعر والأدب والموسيقى الغناء فلماذا لا تكتب لنا هذه المذكرات؟

– أنا ابن الخواطر تعن لي فأسوقها مما أتاح لي الله من خاصية الشعر.. لست مؤرخًا ولا باحثًا اجتماعيًا.. أنا شاعر، ما عند قلته شعرًا وعند هذا الحد تتوقف مهمتي!

- ليكن.. هذا رأيك.. ولكن كنتا ننتظر منك كتابًا عن أم كلثوم؟

– كثيرة هي الكتب التي تنشر الآن عن أم كلثوم؟

- كتابك منك أنت بالذات شيء آخر؟

– لو خطر لي هذا قبل رحيلها لكان من الممكن أن أفعل.. الآن من الصعب عليّ والجرح مازال ينزف أن أفعل!!

- هل تحدثنا عن انطباعاتك وأنت تتلقى من الرئيس شهادة الدكتوراه الفخرية التي قدمتها لك أكاديمية الفنون تقديرًا من الرئيس ومنها لمسيرة ممتدة منتجة في درب الشعراء والفن؟

– اجتاحني إحساس غامر بسعادة متناهية لدرجة أنن لم أستطع أن أكظم دموعي التي غالبتني فانفجرت.. لقد كرمتني الدولة من قبل بمنحني جائزة الدولة التقديرية.. وفي تقديري أن الرئيس كان يكرم فيّ هذه المرة مسيرة نصف قرن مع أم كلثوم.

- شوقي وأنت.. أنقذتما فن الغناء العربي من الانحطاط الذي كان قد تردى فيه. هو بما كتبه لعبد الوهاب وأنت بما قدمته لثومة.. للحقيقة قيل لنا من كان اسبق منكما لأخذ زمام المبادرة؟

– شوقي شاعر عظيم تتألف شاعريته فوق قمة القمم.. ولكنه لم يقدم في مجال الأغنية غير عدد محدود قد لا يتجاوز أصابع اليدين.. ولكني قدمت مئات الأغنيات.

- هل يمكنك أن تعرفنا بخصائص مدرسة كل واحد منكما في الغناء؟

– قلت لك شوقي شاعر وليس صاحب مدرسة غنائية.. لقد أراد أن يرفع عبد الوهاب فكتب له بعض الأغنيات.. ولكن الغنية لم تكن جزءًا من اهتماماته ولا هدفًا من أهدافه.. وبعض ما يغني له أخذ من دواوينه أساسًا ولم يكتبه هو خصيصًا للغناء.

- ما السر في أنك لم تستمر في كتابة المسرحية الشعرية كما فعل شوقي وعزيز أباظة من بعده؟

– لم أكتب غير مسرحية واحدة هي "غرام الشعراء" التي قدمتها السيدة فاطمة رشدي.. ولكني لم أواصل ذلك إيمانًا بالتخصص من جهة واكتفاء بأنني أجد التعبير عن نفسي في

القصيدة المفردة والأغنية.. وربما لو كانت أم كلثوم قد اتجهت إلى المسرح الغنائي لكان المسار اختلف ولواصلت كتابة المسرحيات من أجل المسرح الغنائي ومن أجلها؟

- غنت لك أم كلثوم ما لا يمكنني الإحاطة هنا بتعداده... وقد أبدعت حقًا في كل ما غنته لك.. ولكن من وجهة نظرك ما هي الأغنية أو الأغنيات التي كانت أكثر توفيقًا فيها؟

– عندما تدخلني "بوفيهاً" عامرًا بأطايب الأطعمة وأشهى المأكولات فمن الصعب أن أجاوبك عن الصنف الذي كان أحلى مذاقًا.. كل ما شدت به أم كلثوم كان رائعًا عندي.. كما هو رائع عند الناس.

يونيو سنة ١٩٧٦

الدكتور: حسين فوزي

الحضارة روح وعقل.. قبل أن تكون مصانع وأجهزة!!

كان لقائي الأول به منذ سنوات في مبنى التليفزيون. كان الروائي ثروت أباظة قد استضافه واستضافني في برنامج "شريط تسجيل" وقتها سمعت منه وجهات نظر في منتهي الخطورة، كان هذا الشيخ الرائد بركانًا يقذف الحمم ضد كل ما هو شائه في أوضاع مصر. وحتى التليفزيون، وقد كان هو في عقر داره، لم يسلم من حملته على برامجه الهابطة والسخيفة.

وأكبرت الرجل الجسور كما أكبرته من قبل كاتبًا، قرأت له أغلب ما كتب.. سعدت عندما اكتشفت عنده التوافق الرائع بين الكلمة والفعل. بين السلوك والفكر. بين الرجل والفنان. إنه الدكتور حسين فوزي أحد رواد نهضتنا الثقافية الحديثة. والذي يمكن أن نطلق عليه لقب" سندباد الثقافة المصرية" الذي ارتحل بنا في بحور الحضارة. وطاف بنا سواحل المعرفة.

وعندما التقيت به مؤخرًا في "الأهرام" كان لدىّ الكثير من التساؤلات أنتظر لها منه إجابة، ولكن وقت الرجل الضيق من جهة. وتوفيق الحكيم الذي كان يطاردنا مستعجلاً الخروج. منتظرًا له من جهة أخرى، لم يسمح بغير هذا الحديث المقتضب.

قلت للدكتور حسين فوزي سندباد الثقافة المصرية:

كيف استطاع الدكتور حسين فوزي الأديب. الطبيب، علام البحار. الموسيقي الرحالة أن يوفق بين كل هذه الاتجاهات وأن يتفوق فيها جميعًا في الوقت نفسه. وأين يمكن أن يجد الأستاذ نفسه في كل هذا. أعني في أي جانب منها يجد أنه قد حقق ذاته بطريقة أفضل؟

" من نظراته أدركت بأن السؤال ليس بجديد.. وكنت أعرف هذا مقدما.. أعفاني الدكتور من أن أسوق له التبرير فقد أعطاني الإجابة..

– أعتقد أن كل فعل أقدمت عليه وكل نشاطي مارسته هو حسين فوزي ذاته، لا أفضل نوعية على نوعية.. كل ما كتبته أو فعلته كان استجابة لصوتي الداخلي ولمكوناتي الذاتية. ولما هو أنا في الحقيقة.

وإذا كنت قد حققت ذاتي فإن التوق للمعرفة. والرغبة في الاكتشاف هي التي أتاحت لي أن أنجح في هذا.. إن المعرفة هي ضالة رجل الفكر والفن والعلم والأدب التي يجب أن يسعى إليها مهما كابد في مسعاه.. ومهما أدمت المسيرة قدميه.. لا يستطيع إنسان أن يزعم أنه حقق ذاته بدون المعرفة.

- بالمناسبة ما هو رأيك في فكرة التخصص ونحن في عصر تعددت جوانب معارفه؟

– طبعًا التخصص ضرورة يقتضيها زحام المعرفة في عصرنا.. ولكن ليس معنى هذا أن ينغلق الفنان أو العالم داخل الفرع الذي يزاوله. ويقف على نفسه الباب دون الثقافات الأخرى، فمثلاً كاتب القصة القصيرة لن يكون مجودًا فيها إذا لم يكن مثقفًا في بقية فروع الإنسانيات من فلسفة مثلاً وعلم نفس واجتماع واقتصاد وغير ذلك. وقل هذا بالنسبة للطبيب أو عالم الرياضيات.. الجزء من خلال الكل. هذا ما أعنيه.

- هناك رأي يقول بأن العلوم الإنسانية ما زالت متخلفة عن النمو الحثيث لعلوم الطبيعة والتقنيات.. ما الذي علينا أن نفعله– لو سلمان بهذا – لتضييق هذه المسافة؟

– أولاً أنا أعترض على هذا الرأي، من قال إن العلوم الإنسانية متخلفة عن العلوم المعملية؟

.. الإنسانيات معناها إنسان متحضر. متقدم الوعي والفكر والإحساس والسلوك، وبدون هذه القيم ما كان يمكنه أن ينجز هذه الاكتشافات الباهرة وتحقيق المعطيات العلمية المتفوقة، وفي الدولة ذات التقديم العلمي لا فجوة هناك بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية.

أنهما وجهات لعملة واحدة أو جناحان لطائر واحد.

- جيلكم.. ما هو دوره وسط خريطة الأجيال التي صنعت نهضتنا الحديثة؟

– دوره أنه بعد أن لاح له أو شعاع من المعرفة بعد ظلام طويل.. حاول أن ينمي هذا الشعاع وأن ينطلق على ضوئه في الطريق الصعب ليبني مصر جديدة.. جديرة بحضارتها القديمة. وجديرة بانتمائها للعصر الحديث.. كان جيلنا عاشقًا لمصر في كل ما فعل وكان هذا العشق وراء ما اكتسب وما أعطى..

جيلنا تعلم جيدًا. واستهان بالمخاطر في سبيل أن نتعلم. كانت البعثات وقتها شيئًا مشرفًا. كان المبعوث يختار بميزان الذهب. ويخضع لاختبارات صعبة. ولم ينل أي واحد بعثة بدون أن يكون جديرًا بها بكل ما تعنيه الكلمة.. إن البعثات التي أوفدتها الجامعة منذ إنشائها هي التي بنت مصر الحديثة.

- عندما تعيد النظر في مسيرتك في درب ثقافتنا. هل تشعر بأنك راض عما أنجزته. أم أن هناك ما هو أفضل كنت تتمنى تحقيقه. وهل قلت ما لديك أم عندك بعد ذلك ما تقوله؟

" ما كدت أنتهى من السؤال حتى انفجر البركان من الداخل في نظراته الحارقة.. التي تقذف شواظ الغضب..

هل كنت "قليل الأدب". أم أني افتقدت الذوق.

إجابة الدكتور تضمنت التأنيب فقط.

– أنا مندهش لسؤالك يا حمامصي، يرضى الإنسان عن نفسه عندما يتوقف نبضه. عندما يلفظ آخر أنفاسه.. أنا لم أشعر بالرضا عن نفسي أبدًا. وحتى لحظة الموت لن أكون راضيًا عن نفسي.. أنا دائمًا مشروع جديد.. ومحاولة اكتشاف جديدة.. مازلت أشعر بأنني سأعطي في كل وقت وفي كل مرحلة مادام فيّ نفس يختلج بالحياة.. إني أيم وجهي شطر المستقبل.. رجل الأدب والفكر والفني لا ينضب أبدًا مادام متفتحًا على نبض العصر تواقًا إلى اقتحام المجهول، وليس العطاء وقفاً على سن معينة ولا على مرحلة بذاتها.. هناك إضافات بالغة الخطورة والثراء أعطاها عباقرة في مراحل متأخرة من أعمارهم.. المهم أن لا يتجمد الإنسان أبدًا. وأن يشعر بأن الطريق أمامه مازال ممتدًا وأن الاحتمالات مازالت قائمة.

- كتبت أنت ذات مرة تقول: العلم والرومانتيكية صديقان لدودان. وأنك يفضل الدراسات الطبية وممارسة العلوم قد استطعت أن تتخلص من المرض الرومانسي.

طيب.. لاشك أن العلم تحكمه قوانينه المادية الصارمة. ولكن ألا يكون الاكتشاف العلمي حلمًا رومانسيًا لدى الباحث يحققه بواسطة القوانين المادية.؟

- مازلت متمسكًا برأي.. الرومانسية مرض. مرض المراهقة. وربما الشباب.. عن نفسي في شبابي كنت بركانًا. والدراسات العملية هي التي أخمدت البركان.. رجل العلم رجل عقل محض. كل شيء بحساب. النتيجة هي بنت الأسباب. المتمخض هو وليد الفعل.

أما ما تسميه أنت الحلم الرومانسي ساعة الاكتشاف، فأنا أسميها "لحظة التجلى" لحظة أن يكون الوعي في ذروته. والعقل في قمة يقظته.

- البعض يزعم بأن عصر القوميات قد انتهى. وأن مسيرة التاريخ تتجه الآن نحو شمولية الكيان الإنساني الموحد.. هل توافق على هذا؟

- ياليت ما يقولونه حقًا ما زال الإنسان برغم المسيرة الحضارية التي قطعها، مازال أسير نظرته الضيقة وانتمائه المحدود.. ليس من الميسور القضاء على الشعور بالقومية. ولكن المطلوب أن تحقق القوميات سلامًا للإنسانية بأسرها وتكاتفًا من أجل مصيرها وقضاء على كل ما يتهددها من خطر أو ما يواجهها من عقبات، بعدها يتحقق الانسجام بما يعطي الجزء بأن أمنه الخاص لن يتحقق إلا من خلال أمن الكل.

- كان لك رأي يقول بأنه من الخطل أن تقتصر البعثات على العلوم والتكنولوجيا والاقتصاد، هل لديك أفكار تشير بها على الدول النامية بخصوص هذا؟

الروح لا يربي بالعلم وحده.. الحضارة روح وعقل وشعور قبل أن تكون أجهزة ومصانع ومنشآت. وعلى الدول النامية أن تدرك هذا.. أن تحترم كلية الآداب بنفس درجة احترامها لكلية الهندسة.. وأخص بالحديث الدول النامية التي تفجرت من باطن الأرض ثرواتها المادية بما يمكنها من استيراد أحداث الأجهزة العلمية.. الحضارة هي جهاز علمي متقدم. وإنسان عصري متوازن.

- في كتاباتك أشدت كثيرًا بفعالية الدور الذي قامت به ترجمات محمد السباعي وغيره في تكوني الإحساس الأدبي لدى جيلكم. هل تؤدي الترجمة الآن دورها بالنسبة للأجيال الجديدة؟

- أعتقد أن الترجمة مازالت تواصل دورها في خدمة الثقافة المصرية..

- كتبت أنت القصة القصيرة. وكان لك دور فيها بين أبناء جيلك. أعنى ما يطلق عليه "المدرسة الحديثة" بالتحديد لماذا توقفت عن كتابتها؟

– لم أتوقف عن كتابة القصة القصيرة.. ولكن هناك اهتمامات أخرى أخذتني منها، ولكني كنت أعود إليها عندما أجد ما لا يمكن أن يقال إلا قصة قصيرة. والدليل على أني لم أنقطع عن القصة القصيرة أنني مؤخرًا كتبت بعض القصص القصيرة ونشرت في صحيفة "الأهرام" ولكن يبدو أن الحركة الأدبية لم تأخذ بالها.

- بمناسبة القصة القصيرة.. في السنوات الأخيرة دار كلام حول ريادة القصة القصيرة وأنت تستطيع أن تعطينا الحقيقة أولا بحكم كونك من رجال" المدرسة الحديثة" وحتى لو كانت هناك محاولات سبقت مدرستكم فأنتم أعلم بحكم اقترابكم زمنيًا منها. من هو رائد القصة القصيرة في مصر؟

– الرائد الحقيقي لفن القصة القصية في مصر هو محمد تيمور.

ديسمبر ١٩٧٤

نجيب محفوظ

• الأديب المجود.. أهم من الأديب المجدد!

ما أن تدق الساعة العاشرة صباحًا حتى يتحول "مقهى بترو" في مواجهة البحر الأبيض المتوسط بالإسكندرية إلى منتدى ثقافي يموج بالحيوية والحوار في الأدب والفني والسياسة والاقتصاد.. فإلى هنا يأتي توفيق الحكمي يوميًا وكان يأتي تيمور، ولكننا أصبحنا نفتقده، وهنا نجيب محفوظ وثروت أباظة ودكتور حسين فوزي، والفنان سيف وانلي وشركة عمره والمخرج أحمد كامل مرسي. وإبراهيم فرج المحامي، وعباس الأسواني، والموائد من حولهم تكتظ بالأدباء.

هذه المناقشات الخصبة في كل ما يتعلق بالفن والحياة كنت أتمنى أن يعكف أحد على تسجيلها.. آراء تنطلق تلقائية وعفوية لا يشوبها التقنين، ولا ينقص من سخونتها التنظيم.. خسارة هذه الأفكار.. أن تضيع!

أعربت لنجيب محفوظ عن رغبتي في أن أجرى معه حديثًا.. رحب الرجل.. "تحت أمرك" قالها بترحيب جم. اتفقنا على أن يكون الموعد صباح الغد في مقهى صغير يبعد قليلاً عن بترو".. في صباح اليوم التالي ذهبت إليه... وجدته ينتظرني.

بالأمس كان بعض رواد الندوة قد أثار ما نشره الدكتور لويس عوض في "الأهرام" عن الندوة التي عقدت في لندن وتعرضت لأدب نجيب محفوظ حيث هاجمه الأديب حليم بركات واتهمه بأنه كاتب مساير غير منتم.. ومن خلال ما كتبه الدكتور لويس لم يكتم اتفاقه مع رأي حليم بركات.

- قلت لنجيب محفظو ما هو ردك على زعم حليم بركات من أنك كاتب ورجل أيضًا مساير غيم منتم وما هو تفسيرك لموافقة الدكتور لويس على هذا الرأي؟

– تردد الرجل.. بان التردد في صمته.. هل هو صمت الاستعداد أو صمت الإحجام؟ ربما كان يريد أن يقول بأن الرد ليس مهمته.. إنها مهمة النقد. قلت محاولاً أن أنقض على تردده قبل أن يصبح الصمت قرارًا..

- لابد أن أسمع رأيك.. إنها مسألة لا تخصك وحدك، ثم لماذا تكون المعركة من طرف واحد، ن من حق الخالق أن يتصدى للناقد إذا اجتاز الأخير حدد العمل الأدبي إلى شخص خالقه ذاته؟

***

تدافع الكلمات من فم نجيب محفوظ:

– أحب أن أجاوب بالملاحظات الآتية:

أولاً: الانتقال من الحكم على عمل أدبي إلى الحكم على مؤلفه ليس من حق الناقد أساسًا. إلا إذا كان يؤرخ للكاتب وأن يكون على بينة تامة بمن يكتب عنه. والأستاذ حليم بركات لم يعاشرني ولم يعرفني. وأقصى ما يمكن تصوره أنه سمع عني معلومات وغلابا، وكما هو واضح، فإن هذه المعلومات جاءته من غير أصدقاء.

ثانيًا: إن العمل الذي استشهد به لينفذ بهذا الزعم "ثرثرة فوق النيل"، هذا العمل يحتوي على شخصياته السلبية بجانب شخصياته الإيجابية.. كما أن الشخصيات الإيجابية توجد بكثرة في أعمال الأخرى "اللص والكلاب" وأولاد حارتنا "والسمان والخريف".

ثالثًا: إن العبرة بالسلبية والإيجابية هو المضمون وليس الشخصية. بمعنى أنه قد يوجد عمل حافل بالشخصيات السلبية، ولكن روح العمل تدعو للإيجابية مثلما أعطيك عملاً يكتظ بالمنحرفين، ولكنه في جوهره دعوة إلى الفضيلة بمعناها العريض. وتوقف نجيب محفظو لحظة ثم عاد يواصل حديثه:

أما عن تهمة المسايرة.. فيما يختص بشخصي فتوجد نقطة غابت عن حليم بركات، وقد سبق أن لفت نظر الدكتور لويس عوض إليه في جلسة خاصة.. إنه يفترض أنني ضد ثورة يوليو، ولذا فأنا أسايرها.. أما الحقيقة التي لا شك فيها فهي أنني أساسًا أنتمي لثورة يوليو ولمبادئي ثورة يوليو.. أنا منتم للإصلاح الزراعي. للعدالة الاجتماعية.. وكل منجزات ثورة يوليو

البناء قريبة إلى وجداني. وما زلت كذلك إلى الآن وإلى الغد.. ولكني في نفس الوقت يجانب انتمائي لها كنت أتناقض معه في أمرين: سلبيات الذين أفسدوها عند التطبيق من جهة. وعدم استكمال ذاتها بالديمقراطية من جهة أخرى! ولذلك كنت أنقدها من موضع الانتماء لا من موضع الرفض. أنقد اللصوص. وأنقد الاستبداد.. ولو أني كنت عدوا لثورة يوليو لتجنبت نقدها خوفًا من أن تستفيد بنقدي وتصلح من حالها.

أما الدكتور لويس عوض. فأنا أنقذه فيما يتعلق بالمقال الذي ورد وذكرى به. فهو لم يكون موضوعيًا بالقدر المنتظر منه، فوجود شخص مثل لويس عوض في مجال مثل هذه الندوة التي أشار إليها في إنجلترا يجعلني أنا القارئ مشوقًا لمعرفة أشياء كثيرة.. مثلاً.. ما أسباب عقد الندوة. من حضرها من الأجانب قبل العرب. وما هي منزلتهم هناك.. كان يهمني أن أعرف وجهات نظرهم قبل وجهات نظر العرب.. فالصلة بيني وبين العرب غير مقطوعة. كانت تهمني معرفة رؤية هؤلاء الأجانب عن الشعر والمسرح والقصة عندنا.

لويس عوض تجاهل كل هذه الأمور الهامة. وركز على مجرد بحث لشخص عربي لأنه يوافق رأيه. أو لأنه وجد له هوى في نفسه.. فكأنما سافر لويس عوض إلى إنجلترا لمجرد أن يعبر عن رأيه في نجيب محفوظ!.. لماذا كل هذا التعب.. وكان من الممكن أن يقول لي هذا الرأي أو يقوله للقراء بدون أن يسافر!

أما كان أجدى بلويس عوض أن يعرفنا بالقضايا التي تدور هناك.. أن يعرفنا بماجد من تيارات أو ما انحسر من مسائل، وهو يعلم أن العزلة الثقافية فرضت علينا طويلاً!.

من موقع القلب أكتب

- أتاحت مناسبة الحديث عن الانتماء والمسايرة أن أجد السؤال..
- قلت لنجيب محفوظ:

أعتقد أن الكاتب هو ضد شيء ما في هذا العالم. ومن هنا تأتي أهميته بالنسبة لأمته وللإنسانية بأسرها. ما الذي شرعت به قلمك ليكون ضده في عالمنا؟

- "ألا حظ عن نفسي أنني لا أكتب إلا من موضع قلق. هذا القلق أساسه الاجتماعي قضية العدالة الاجتماعية.. كانت كتابتي عادة عن المقهورين. وحتى إذا تجاوزت الكتابة هذه الحدود إلى ما يمكن أن نسميه التأملات العامة. فهي تدور أيضًا حول قضية العدالة بمعناها الكوني. الإنسان في مواجهة المصير.. أمام القضاء والموت.

إن دوافعي للكتابة أساسًا تنبع من هنا.. لذلك تجدني بعد هزيمة يونيو اندفعت للكتابة حتى بدون أكن يكون لدى موضوع متبلور.. كان الصمت عذابًا، على أنه بعد ٦ أكتوبر وبعد ما بدأت نفسي تستشعر، من ثقة وإحساس بالتفاؤل، لم أكتب حرفًا.. وما لدى من أعمال جاهزة الآن مكتوبة قبل أكتوبر..

عندما أطمئن.. يبدأ الصمت!

كانت فترة حافلة بالإرهاب والأكاذيب:

- بعد هزيمة بدأ التساؤل لماذا! كان هذا التساؤل يؤرق وجدان كل إنسان عربي.. وكان من الممكن أن يفجر هذا التساؤل ما يجعلنا نمسك بخيوط المعوقات التي أدت إلى هذا الوضع. وفي أدبنا أيضًا أطل نفس التساؤل، لماذا؟ ولكن السؤال أجهض- في اعتقادي- بسرعة.. أياد خفية كتمت أنفاسه- وفجأة غرق هذا الأدب في موجات من التغريب والعبث والبهلوانية باسم المعاصرة. هذه الموجات قذفت الضباب في وجه المحاولة.. هل كان الأمر طبيعيًا. أم أن المسالة كان وراءها تخطيط يستهدف تمييع السؤال لنضل طريق الوصول إلى الحقيقة؟!

وأجاب نجيب محفوظ:

- "السؤال الذي طرحته أنت حقيق وطبيعي ووجيه.. وكان يجب أن يلقي إجابات واضحة ومحددة. ولكننا كنا نعيش فترة حالفة بالأكاذيب والإرهاب، ومن المستحيل أن ينشر فيها رأي بوضوح.. فلم يكن من سبيل أمام الأدباء إلا اللجوء إلى الكتابة والرمز والإشارة. كما فعل صاحب "كليلة ودمنة". والذي يدلك على صدق هذا الرأي أن الكناية نفسها قد صودرت.. أنا لم تصادر لي الأعمال إلا في نهاية هذه الفترة "الحب تحت المطر" و"الجريمة" و "الكرنك" و "قلب الليل" كل هذه الأعمال لم تنشر في الأهرام، وعندما قدمت بعضها لينشر بعيدًا عن "الأهرام" تدخلت الرقابة! قبل الهزيمة كانت تغمرهم الثقة. فلم تكن تهمهم الكلمة. بعد ذلك شعروا بأن السفينة تهتز. فبدءوا يتخوفون من الكلمة وينتبهون لها. وأخذوا يتدخلون في التعمية التي تحدثت عنها.

إن كتابات الشبان كان لها جانب فني وجانب سياسي هما الاحتجاج.. كانت محاولة للكلام بأي شكل. ولعلك الآن تلاحظ أن أدب الوضوح بدأ يطل!

- هذا يؤكد بأن الفن لا يمكن فصله عن المناخ السياسي السائد؟

– "بالتأكيد.. مسألة لا شك فيها.. في ألمانيا أيام النازي. هاجر أفضل من تملكهم ألمانيا فرارًا من الإرهاب. الأدب لا يترعرع غل في مناخ صحي من الحرية الكاملة!".

***

- قلت:

أفرزت النكسة أدبها فهل أفرز ما حدث في أكتوبر أدبه.. وبالنسبة لك أنت بالذات هل كان لما حدث في أكتوبر ما يدفعك لأن تقول فنا؟

– في الواقع ظهر أثر أكتوبر فيما يسمى بالأدب الأعلامي.. أما الأدب الفني بمعناه الكبير فسيأتي غدًا. وسيكتبه في اعتقادي أدباؤه الجنود الذين خاضوا المعركة. كما حدث في أوروبا والولايات المتحدة في أعقاب الحرب الأولى والثانية.. أما الكتاب الذين لم يتح لهم خوض المعركة فإن رؤية الفنان قادرة على أن يكون لديها ما تقوله. وقطعًا سنعكس أثر المعركة في أدبهم رؤية وروحًا إن لم يكن وقائع وأحداثًا.. قد يأتي هذا حتى من خلال قصة عاطفية.. أما أنا.. فأنا الآن في فترة اطمئنان كما قلت لك من قبل وأنا أكتب من موضع قلق!".

أدب العالم الثالث عليه أن ينطلق من أرض الإيمان:

- ثمة رأي يقول بأن موجات العبث والتغريب بدأت تنحسر من العالم. وبدأ الأدب من جديد يتساءل عن الخلاص، كما نلاحظ بأن وجهة النظر القائلة بأن مهمة الفن هو أن يساهم في تغيير العالم وتطويره وتجميل الحياة والكفاح ضد كل ما هو شائه وشرير فيها. وجهة النظر هذه بدأت تتسع أرضهاز إذ كيف يمكننا تغيير العال مقبل فهمه وتقنينه أولاً.

هل ترى ثمة غلبة قادمة لأدب الوضوح.. أدب الواقعية النقدية.. والجمالية في نفس الوقت؟

– "التغريب في الأدب. وكذلك العبث لا يأتي اعتباطًا. وإنما كانعكاس للإحساس بالاضطراب والعبث في الحياة نفسها. وكلما تخلص الإنسان من سلبيات الحياة استعاد الثقة.

رجع الأدب يعبر عن وظيفته الطبيعية البناءة في خدمة المجتمع والحياة.. في الحقيقة يوجد دائمًا نوعان من الفن.. فن بناء مستوحي من الإيمان والانتماء لقضية. وفن عبثي مستمد من الشك والقلق من الحالات المرضية التي تغمر العالم.. يوجد النوع الأول في أي مجتمع ينطلق من أرض الإيمان. كذلك أعتقد بأن هذا الأدب هو الذي يجب أن يسود في العالم الثالث. هذا العالم الذي يتطلع إلى نهضة.. وأمامه مهمات محددة.

" وهنا خطر لويس عوض على ذهن نجيب محفوظ بمناسبة تواجده في لندن، فعرج بالحديث يقول":

"أما كان أجدي بلويس عوض بدلاً من تركيزه على بحث يهاجمني أن يحدثنا عن وضع الأدب في أوربا الآن.. أما زالي الرفض شعاره.. هل وجد قضية يؤمن بها مثلاً. هل المصالحة بين الشرق والغرب بدأت تظهر في الأدب هناك؟".

- قيل عن نجيب محفوظ مرة بأنه يقف عقبة في طريق الرواية العربية. من وحي هذا القول خطر لي السؤال:
- هل حدث تجاوز للحدود الروائية عندك من جانب جيل الشباب سواء في مصر أوفى العالم العربية. أو على الأقل هل تلمح في عطاء البعض إمكانات تجاوز قادمة..

أرجو أن يكون رأيك بدون حساسية وبدون تواضع. وأيضًا بدون مجاملة!؟

- "الحقيقة أنا في عالم الرواية جربت كافة أساليبها فيما عدا الرواية الجديدة أو اللا رواية، وإذن فكل ما يكتبه الروائيون من الأجيال التي جاءت بعدنا في هذا النطاق لا يعتبر تجاوزًا لما كتبناه من ناحية التكتيك. ويقال – والله أعلم– إن بعض الروائيين العرب تجاوزونا وأنا لأسف لم أطلع على شيء من أعمالهم بسبب أزمة الحصول على الكتاب العربي".

ولكني أحب أن أضيف أني لا أهتم بالتجاوز في التكتيك، فأنا شخصيًا أعتبر أن الرواية تنقسم في نظري إلى نوعين رئيسيين: جيدة. أو غير جيدة.

والسؤال الذي يهمني هو. ألم تكتب روايات جيدة وسط الأجيال التي جاءت بعدنا. والجواب بكل ثقة نعم. نعم. نعم. هنا وفي البلاد العربية، إذن فتيار الرواية العربية يسير في تقدم وأمان.. يصح أن يكتب أحدهم رواية ويتجاوز من حيث التكتيك وحده. ومع ذلك تبقى عديمة الجدوى إذا ظلت في إطار الألاعيب الشكلية وحدها. كما أحب أن أضيف بأن أغلب الذين اخترعوا وسائل التكتيك الجديدة ليسوا من كبار الكتاب.

والكاتب المجود.. أهم من الكاتب المجدد؟

الشباب أضاف.. وفي أسوأ الظروف:

- قلت لنجيب محفوظ:

في المجالات الأدبية الأخرى غير الرواية هل تعتقد أن الشباب قد أضاف شيئًا؟

– "نعم.. أضاف شيئًا حقيقيًا وفي أسوأ الظروف".

النقد الآن في أزمة حقيقية:

- يقال بأن هناك أزمة نقدية.. هل توافق على هذا.. ما هي أسبابها إن كنت تؤمن بوجودها؟

– للحقيقة توجد أزمة نقدية خانقة. وأنا أتكلم بصفة خاصة عن مصر.. بل نستطيع أن نقول بأن الأديب اليوم يشق طريقه متجاهلاً للنقد ومتجاهلاً منه. وشيء واضح الآن أنك تجد حملة رهيبة ضد مسرحية أو فيلم وهو مكتسح النجاح. وبالعكس تجد تمجيدًا لشيء هو لا شيء في الحقيقة.. كيف وصل النقد إلى هذه الحالة السيئة، لاشك أن لدينا نقادًا يملكون الموضوعية والأمانة والنزاهة والتأهيل من أعلى طراز، ولكنهم لا يجدون مناخًا يحترم النقد ويقدره.. فيلوذون بالصمت. وكان يجب أن لا تخلو صحيفة أو مجلة من ركن للنقد تستكتب فيه كبار الأساتذة.. لقد وجد كثير من النقاد المنحرفين لشتى أسباب الانحراف، وهؤلاء عصفوا بالثقة في النقد. حتى أصبح ملاحظًا الآن بأن النقد لا يقرأ أو لا يكاد يقرأ من كثرة "المقالب" التي شربها القراء من هذا الصنف من النقاد..

ولذلك فإن خير ما كتب في النقد في الآونة الأخيرة هو النقد الأكاديمي الذي كتب عن عصور الأدب السابقة.

اقترح لكي يستعيد النقد مكانته وشخصيته والثقة فيه أن تصدر وزارة الثقافة مجلة للنقد فقط بجميع أنواعه لمسح كافة الفنون.. بجميع أنواعها. حتى تعود للنقد منزلته الأولى أيام نهضتنا الأدبية.. إن هذا النقد هو الذي نصع الأجيال التي تلت النهضة!".

- ما الذي أعطيته أنت وأعطاه جيلكم عمومًا لحياتنا الأدبية؟

– الذي فعله جيلنا في اعتقادي هو أنه بتخصصه في الرواية قد جعلها فنا عربيا أساسيا. وبذلك مهد الأرض نحو الخطوة التالية المنتظرة وهي الانطلاق نحو

العالمية.. قبل أن نأتي كانت هناك مجرد نماذج وأمثلة فحسب.. بد جيلنا أصبحت الرواية هي الفن الأدبي الأول!؟

الحرية.. والانفتاح الثقافي ورفض الرقابة:

- الوضع الثقافي الآن.. هل لديك ما تقوله بشأنه. وهل لديك وجهة نظر فيما ينبغي أن يكون عليه هذا الوضع؟

– "الجواب على هذا السؤال يحتاج إلى دراسة كبيرة ليس هنا مجالها. ولكني أقول لك بأن أهم ما ينقصنا حتى تكون لنا حياة ثقافية حقيقية هو الحرية المطلقة. رفض الرقابة على الكتب وتخفيفها جدًا بالنسبة للمسرح والفيلم.. الانفتاح الثقافي بكل شموله. يجب أن تعود لأسواقنا الكتب والمجلات العالمية حتى نكون على علم بما يجري في الخارج.. التشجيع المنظم والمتواصل لاكتشاف وتشجيع المواهب الجدية بكافة الوسائل في كل مجال".

" نظر نجيب محفوظ إلى ساعة معصمه.. تجاهلت من جانب هذه النظرة كانت عندي أسئلة كثرة انتظر لها الإجابة.

هممت بأن أطرح سؤالاً جديدًا. ولكن توفيق الحكمي مر أمامنا في محاذاة شاطئ البحر.. من جانبي رأيته أولاً. تغافلت ولم أنبه نجيب لمروره. خاب هدف فقد لمحه نجيب محفوظ أيضًا.

قال لي: انظر.. الحكيم في طريقه إلى "بترو".

الأمر لله– أجبت.. هيا بنا. ولممت اوراقي وغدرنا المكان إلى "بترو" وما إن رآني توفيق الحكيم حتى ابتدرني:

"استفردت به أنت اليوم"

قلت: الدور عليك غدًا" واندمجنا فيما يدور من نقاش!

سبتمبر سنة ١٩٧٤.

نجيب محفوظ

كان الأدب مقرا.. وأنقذتني السينما بفلوسها!! •

إذا كان نجيب محفظو برؤيته الفنية المقتدرة ونفاذ هذه الرؤية داخل واقعنا الاجتماعي بكل جوانب وأبعاده. فقد تمكن مع جيله من أن يجعل الرواية هي الفن الأدبي الأول في عالمنا العربي، بحيث أصبحت الآن تشكل أهم مساحة من خريطة حياتنا الأدبية، وانطلاقًا من هذا فإن الأفلام السينمائية التي أخذت من رواياته.. بجانب السيناريوهات التي كتبها لأعمال زملائه من كتاب القصة تشكل هي الأخرى ملامح بارزة من ملامح السينما المصرية. ومن هذه الزاوية ذهبت إليه لأستطلع رأيه في قضايا سينمائية هو طرف فيها.. وقضايا أخرى من المهم أن نعرف رأيه فيها..

- قلت لنجيب محفوظ:

منذ متى اقتربت السينما منك.. فالمعروف أن هناك فترة طويلة من حياتك كنت تكتب فيها والصمت يحيط بك.. هل سمعت إليك السينما في حينها.. أو بعد أن وانتك الشهرة العريضة.

- الواقع أن السينما عرفتني قبل أن اعرفها. كان ذلك عام ١٩٤٧ على ما أعتقد. كنت قد كتبت "عبث الأقدار" و "رادوبيس" و "كفاح طيبة" و "خان الخليلي" و"زقاق المدق" وكانت "عبث الأقدار" هي التي رشحتني للسينما، فقد قرأها صلاح أبو سيف و أستشف أن كاتبها يمكن أن يكون سيناريستا، وجاءني يعرض عليّ أن أكتب سيناريو

فيلم "مغامرات عنترة وعبلة". ولم أكن وقتها أعرف حرفًا واحدًا عن السيناريو فتعلمت على يد صلاح خطوة خطوة كما يتعلق التلميذ حروف الهجاء.. وبعد أن انتهيت أهداني مكتبة من السيناريو لأتعلم لغة السينما عمليًا.. وظللت مدة طويلة أشتغل بكتابة السيناريو إذ لم تطلب من قصة للسينما قبل عام ١٩٥٧.. وكان للسيناريو فضل كبير على كأديب. فقد عصمني من العسر المادي الذي كنت أعانيه وكان الأدب وقتها رخيص السعر يباع بقروش. فأسعفني السينما بفلوسها. ولولا ذلك لكانت حياتي من الصعب تصورها. السينما مكنتني من أن أقدم لها المطلوب لأتفرغ للأدب الذي أريده.

- نلاحظ أنك لا تكتب سيناريوهات أفلامك.. بينما تفعل ذلك بالنسبة لقصص غيرك.. ألا يكون صاحب القصة عندما يكتب لها السيناريو أقدر من غيره على توصيل خصائص قصته.. خاصة بالنسبة لكاتب متمرس مثلك يجيد لغة السينما؟ – الحقيقة.. لم أجد في نفس أبدًا أي استعداد ولا رغبة لأن أكتب سيناريو أي قصة لي، ويجوز أن يكون السبب الرئيسي لذلك أن السيناريو يتطلب تحررًا من القصة الأدبية لتصبح قصة سينمائية.. وهذا التحرر أجده عندما أكون مشتغلاً بكتابة السيناريو لقصة مؤلف غيري.. لحظتها لا أجد صورة قصصي "خيشه" عندي.. ثم أني اشعر دائمًا بأن مهمتي تنتهي عند كتابة أي قصة من قصصي.. بعد أن افرغ منها ينتهي دوري بالنسبة لها. ولا أحب أن أعود إلى قراءة عمل لي بعد الانتهاء منه.. هذه طبيعتي.. حتى الطبعات الجديدة من رواياتي لا أقدم على تصحيحها. أحب أن أتخلص تمامًا من أي اثر لأي قصة لي لأبدأ كتابة عمل جديد.

- يقال إنك بهذا تبتعد عن تحمل مسئولية فشل الفيلم – إذا قد له أن يفشل– متذرعًا بأن مسئوليتك تنتهي عند كتابة القصة ذاتها كعمل أدبي؟

– لم يبد عليه أن السؤال قد استثاره. بهدوء جاءت إجابته...

إذا كان هذا حقيقيا فكيف أجد الشجاعة لأكتب السيناريو لقصص كتاب كبار؟

- هل استطاعت السينما أن توصل رؤيتك بأبعادها المتعددة من خلال الأفلام التي قامت على قصصك؟

– علينا أن نتنبه إلى أن الكتاب إذا كان يمثل رؤية المؤلف خالصة.. فالفيلم يمثل هذه الرؤية من خلال عقول كثيرة. المخرج. المصور. المونتير وغيرهم، فلابد أن يحدث تغيير حتمي. والمهم عند المؤلف في هذه الحالة ألا يحدث انحراف أو تحريف لفكرته الأساسية. وعليه

أن يضع في الاعتبار أن المجموعة الجديدة هي صاحب القدرة على مخاطبة الجماهير بلغة السينما. وليس له هو هذه القدرة لأنها يخاطب قطاعًا محدودًا يتمثل في القلة المثقفة..

- بالنسبة للقصة الأدبية التي تباع للسينما. هي تنتهي مهمة المؤلف عند توقيع عقد البيع ويكون من حق من اشتراها أن يراها من الزاوية التي يشاء. أو من حق المؤلف أن يضع اشتراطات معينة يحافظ بها على القسمات الأساسية لروايته عند التنفيذ؟

– من حق المؤلف أن يفعل ذلك.. إذا خشي على قصته من الضياع، ولكن هذا لا يحث غالبًا لأن معظم من تقدم السينما أعمالهم الأدبية يتعاملون مع الوسط الإنتاجي بروح الثقة والتفاهم.. والاتفاق الضمني على الصورة التي تقدم بها القصة مهما تغيرت وجهات النظر وتباينت الزوايا التي تقدم منها.. ما دام روح القصة لم يمس أساسًا..

- أخرج لك صلاح أبو سيف وحسن الإمام.. وحسام الدين مصطفى.. وحسين كمال.. ويوسف شاهين. من منهم كان أكثر توفيقًا في النفاذ داخل أعمالك وبلورتها سينمائيًا؟

– بلا مجاملة كل منهم أجاد في حدود مفاهيمه وأسلوبه الخاص– في اختيار الطريقة التي وجدها ملائمة لتقديم عملي. وكان صادقًا مع نفسه في اختيار الأسلوب الذي يراه أقدر على ذلك.

- لك أعمال أدبية تحمل طابع مرحلة فنية معينة. مثل "زقاق المدق" و "بداية ونهاية" والثلاثية وغير ذلك. وأعمال أخرى أخذت مسارًا مختلفًا من حيث الرؤية والمعمار الفني. مثل "الشحات" و "ميرامار" و "ثرثرة فوق النيل" أي مرحلة منها كانت السينما أكثر إجادة في التعبير عنها؟

– في اعتقادي بالنسبة للأفلام السينمائية التي قامت على رواياتي لا توجد مرحلة أفضل من مرحلة بالتحديد القطعي.. هناك على الأصح أفلام أحسن من أفلام.. ففي المرحلة الأولى نجد أفلامًا قد بلغت ذروة التفوق والامتياز، ونفس القول ينطبق على المرحلة الثانية. وهنا أفلام لم تصل إلى هذا الامتياز، لا في المرحلة الأولى ولا في المرحلة الثانية.. وهناك أفلام لم تصل إلى هذا الامتياز، لا في المرحلة الأولى ولا في المرحلة الثانية..

- على ضوء الاتجاهات التجريبية التي بدأت تجرب السينما عالميًا. حيث أصبحت لغة الكاميرا هي الإيقاع الأساسي في الفيلم.. ما هو دور القصة الأدبية مستقبلاً؟

- المخرج لكي يكون مؤلفًا يحتاج إلى موهبة التأليف بما يعادل موهبة الإخراج وإجادة استعمال الكاميرا. وأعتقد أن هذا النوع من رجال السينما هم أقدر على إعطاء فيم سينمائي متكامل الرؤية.. فإذا كان الروائي يفكر من خلال الكلمة.. والمسرحي من خلال الدراما.. فصاحبنا هو الذي يفكر في موضوعه من خلال اللغة السينمائية مباشرة. وهنا تصلنا هذه اللغة تلقائيًا لا فجوات فيها ولا شروخ.. أما في الوضع التقليدي للفيلم فسيكون عندنا مؤلف ومخرج.. ثم محاولة للتعبير باللغة السينمائية تعتمد على التوفيق بين رؤى متباينة من خلال التنسيق بينها.. حتى لتكاد تشبه الترجمة أحيانًا..

والمشكلة أساسا هل يوجد من المخرجين المؤلفين ما يكفي للإنتاج السينمائي.. إذا لم تكن الإجابة تأكيدًا فلا غني للفيلم عن القصة سواء كانت مكتوبة للسينما أصلاً أم مستمدة من قصة أدبية.

- فيلم "الاختيار" إلى أي حد تقاربت رؤيتك مع رؤية مخرجه. وإلى أي مدى تباعدت؟.

- الحقيقة أن يوسف شاهين كان صاحب فكرة الفيلم وكاتب السيناريو، وكنت أنا مؤلف القصة.. وأنا لا أقدم على تأليف قصة للآخرين في السينما إلا تحت أحد شرطين: أن تكون موافقة لرؤيتي أو على الأقل لا تخالفني. بالنسبة "لاختيار: الفكر الذي فيه لا يخالف رؤيتي.

- من هي الممثلة التي أدت دورًا افي واحد من رواياتك بالطريقة التي تمنيت أن تراه على الشاشة؟

- التمثيل بدون شك هو من أقوى العناصر الفنية في الفيلم المصري. وأحيانًا أفكر بأن العناصر الفنية الأخرى للفيلم لو كانت في مستوى الأداء الرائع من بعض طاقاتنا التمثيلية لوصل الفيلم المصري إلى العالمية بحق.. وبالنسبة للسؤال.. شادية وسعادة حسني ونادي لطفي وسناء جميل، كل واحدة منهن أدت دورها في روايات بطريقة تتسم بالاقتدار الفني المتمكن.

- أخذ القطاع الخاص في السينما حرية لم تكن متاحة له. وبدلاً من أن يشكر هذا فيقدم افلامًا نظيفة وذات مستوى، وجدناه- وخاصة العناصر المتطفلة على المهنة- يغرق السوق ببعض أفلام لا اقل من كونها هابطة ومبتذلة. إنهم يستهدفون الربح على حساب أي شيء، بل لعلهم في الماضي كانوا أكثر مراعاة للاعتبارات

الأخلاقية، هل لديك ما تقوله لهؤلاء السادة الذين عندهم حب الفلوس وليس عندهم بعد النظر؟

- أوافقك تمامًا على أن أكثرية الأفلام دون المستوى المطلوب.. وأن الجيد قليل. ولكن علينا أن ندرك أن مطالبة رأس المال بالتضحية بالربح في سبيل الفن مطلب عسير.. ولكن من الممكن ملافاة الحال بأمرين..

أولاً – أن تقتصر هيئة السينما في إقراضها للمنتجين على الأفلام الجادة بكل ما تعنيه الكلمة وألا تنظر نظرة تجارية بالنسبة للإقراض، إذ يجب أن تكون نظرتها فنية واجتماعية بحتة.. وأعتقد أنها في جميع الأحوال سوف تستطيع أن تسدد القرض. كما أنه يجب عليها أن تعود إلى الإنتاج ولو في نطاق محدود.. نطاق إفساح المجال للواهب الجديدة التي أثبتت جدارتها.

ثانيًا – أنت تعلم أن يوسف السباعي أخضع دور السينما الأجنبية لصالح الفيلم المصري. وأن هذا القرار هو صاحب الفضل الأول في نجاح ورواج الفيلم المصري لأنه فرض على جميع الرواد– وكلنا يعلم أن رواد الفيلم الإفرنجي كانوا هم الأغلبية الساحقة من جمهور السينما– ففضل الرواج الهائل يرجع أولاً وأخيرًا لهذا القرار.. وهو حق للسينما المصرية باعتبارها نشاطًا وطنيا يحتاج للتشجيع والحماية.. ولكن في الوقت ذاته لا يجوز أن تكون هذه الحماية مطلقة.. فالامتياز في العرض يجب أن يقتصر على الأفلام الجيدة دون الهابطة.. وعلى الأفلام الهابطة أن تنتظر دورها للعرض في الدور المصرية.. فلا بأس من تأخيرها.. بل لعل الخير فيه.. وبشرط ألا تعرض الدور الأجنبية إلا أفلامًا ممتازة، أما إذا كنا سنؤخر فيمًا وطنيًا هابطا لنفسح الطريق فيلم أجنبي هابط.. فالهابط الوطني أحق بالعرض طبعًا. بهذا الأسلوب يمكن مقاومة الهبوط في السينما وضمان عدم عرض أفلام غير ناضجة مصرية وأجنبية.

- بالمناسبة.. ظاهرة رواج الفيلم المصري هل ستحقق له الاستمرار؟

– أولاً رواج الفيلم المصري أساًسا مفيد وتستحقه السينما المصرية.. وهذا الرواج من شأنه أن يشجع المنتج المصري على الارتفاع بالمستوى.. فالربح منطلق للتجويد أكثر من الخسارة والإفلاس، ولكن يجب أن نضع ضوابط بالشروط التي ذكرتها في الإجابة السابقة.. وأحب أن أذكرك في هذه المناسبة بأن أول من أظهر المخرج الممتاز فيلم "أريد حلا" كان رمسيس نجيب.. كما فعل القطاع العام عندما أظهر موهبة شادي

عبد السلام، من هذا نجد أن المنتجين الكبار يعفون واجبهم.. وإنما الخوف ياتي من المتطفلين والمغامرين.. وبهذه المناسبة أدني أتساءل لماذا لم يصدر حتى الآن قانون صناعة السينما وكذلك قانون نقابة السينمائيين... إنهما يكفلان مناخًا أفضل للارتفاع بالمستوى وإبعاد المتطفلين من ساحة المهنة.

أما بالنسبة للرواج فسوف يعتمر ما دام الفيلم المصري مكفول العرض.. وهناك ملايين لا ملهاة لها غير السينما سواء أسرها الفيلم أم أسخطها.

- أين تقف أنت من وجهة نظر تحديد عرض الفيلم بأسابيع محدودة مهما حقق من دخل وذلك لإفساح المجال لأفلام أخرى تنتظر العرض.. ومن وجهة نظر مضادة ترى أن يستمر الفيلم ما دام يغطي نسبة الدخل الأسبوعية المقررة لاستمرار عرضه؟

– لا يخفى عليك أن النشاط الاقتصادي كان حرا بلا قيد.. فلم ألحقت حريته ضررًا بالناس نشأت نظريات لتحقيق العدالة الاجتماعية وأوجبت الحد من حرية القادرين ضمانًا للعدالة العامة.. فما دام عدد دور العرض محدودًا.. وما دام الفيلم المعروض قد غطى تكاليفه وربح ففي هذه الحالة يجب أن تعطى الفرصة لغيره.. ولهذا فأنا من أناصر التحديد حتى تتوفر دور العرض الكافية. وخاصة إذا تذكرنا أن الرواج ليس دائمًا صنو الجودة.

- ما هو موقع السينما المصرية الآن من خريطة السينما العالمية؟

– السينما لا تخرج عن كونها نشاطًا من أوجه النشاط العام بتأثر وضعها بدرجة الحضارة التي بلغتها الأمة.. فلا تتوقع أن نكون من العالم الثالث في كل شيء ما عدا السينما.. والواقع أن الذي يحدد مستوى الفيلم في النهاية.. عقل وكاميرا. وجمهور ودولة..

- البعض يقول بأن أفلام زمان كانت أفضل من أفلام هذه الأيام ما رأيك؟

– كل ما يمكن أن يقال.. إن اتجاه الفيلم في بدايته كان أقرب إلى التجويد. والرغبة في تثبيت صناعة جديدة في الواقع المصري، ولهذا كان ابعد من الروح التجارية البحتة.. لكن لا شك أن الأفلام الجيدة الحديثة تفوق بمراحل المستوى الفني للأفلام القديمة.

- الأسماء الجديدة في السينما من حيث الإخراج والتصوير والتمثيل هل شكلت عندنا ظاهرة سينمائية متميزة؟

- لاشك أن المواهب الجديدة أثبتت قدراتها وجدارتها. وأنها في أي ظرف من الظروف تبحث عن الجدية وتحترم الفني وتسعى إلى التجويد.

- بالنسبة للدول النامية التي تواجه مشاكل تطوير واقعها المتخلف.. أي الاتجاهات السينمائية ألزم لها لتمكينها من القيام بدور ما في دفع واقعها إلى الأفضل؟

- أكثر ما تحتاج إليه الدول النامية هو الفيلم الواقعي التربوي بالمعنى الإنساني العام.

ولعل حاجتها إلى الأفلام الروائية القصيرة والتسجيلية أكثر من حاجتها إلا الأفلام الروائية.

- قلت لنجيب محفوظ:

مهما اختلفت النظرة إلى السينما بين عديد الاتجاهات فهناك شبه إجماع على أنها وسيلة اتصال جماهيرية بالغة الخصوصية والتأثير.. ومهمة أي فن في اعتقادي هي أن يطور العالم.. أن يسهم في تغييره إلى الأفضل.. ولكننا نلاحظ أن موجات التجديد في السينما أصبحت غالبا تعتمد على لعبة الإبهار بالشكل.. وبدلاً من أن تقدم للمتفرج العادي مفاتيح لفهم العالم تقذف في وجهة بالتعقيد والإغراب والضباب باسم المعاصرة.. وقد بدأت هذه الموجات تتسرب إلى السينما في الدول النامية التي لم تحل مشكلة الحفاء والغذاء بعد.. هنا يتبادر سؤال.. كيف يمكننا أن نغير العالم إذا لم نفهمه.. أولاً..

أنت كرجل فكر وفن، وبالتأكيد تشكل هذه المسألة جانبًا من همومه.. في رأيك.. كيف يمكننا أن نحقق التوازن بين وجهة النظر المتسائلة.. لماذا لا تقدم ما يفهم. وبين الإجابة المعترضة.. ولماذا لا تفهم ما يقدم..

- أي فن في الدنيا له جمهور أساسي. ولا يجوز لفن أن يتجاهل جمهوره الأساسي. وإلا لما كان هناك مبرر لوجوده. فالكاتب يتحمل المسئولية أمام قطاع معين ربما يصل إلى عشرات الألوف، ولكنه في النهاية يعتمد علىّ ويخاطب نوعية معينة من الناس ولكن الفيلم يتحمل مسئوليته أمام عشرات الملايين.. والمسألة الجوهرية والصعبة ليست كيف أعبر عن ذاتي.. وإنما كيف أعبر عن ذاتي وأن أصل بهذا التعبير إلى جمهوري دون التضحية بالقيم الفنية.. أي اختلاف في ركن من هذه الأركان على الفنان أن يتحمل مسئوليته.. إنها عملية غير مجدية بعل عملية مضحكة أن أصنع فيلمًا ليصفق له الناس في باريس ولا يستفيد منه أحد هنا.. لهذا اقترحت أن تعود الهيئة إلى الإنتاج لمساعدة المجربين في نطاق بعيد عن التجارة..

لتصبح أعمالهم أشبه بالأمثلة والنماذج. ومن خلال الحوار الذي يدور حولها يمكن أن تكشف السينما المستقبلية الطريق الأفضل للتعبير عن رؤيتها.

- ما رأيك في تجربة تقديم الأعمال الأدبية العالمية معربة سينمائيًا كما فعل حسام الدين مصطفى بقصة "الإخوة كرامازوف" التي قدمها هنا فيلمًا باسم "الإخوة الأعداء" وهل استطاع حسام أن يقدم خصائص القصة مع تطويعها للبيئة المصرية.

– استفادت السينما دائمًا بشوامخ الأعمال الأدبية العالمية. لقد شاهدنا روائع الأدب الفرنسي والإنجليزي عن طريق الفيلم الأجنبي وعندما يبادر مصري للاستفادة بهذه الأعمال فإن الإمكانات المادية تحول بنيه وبين تقديمها في أماكنها الأصلية كما يفعل الفيلم الأمريكي.. ولا تصبح لديه وسيلة غير التمصير.. وبفضل هذه الطريقة أمكن لجمهور عريض من غير المثقفين أن يتذوق دستويفسكي وغيره.. إنها طريقة يجب أن تدخل في برامج إنتاجنا.. وبخاصة إذا علمت أن هذا الإنتاج يعتمد على "لطش" الأفلام الأجنبية غير ذات المستوى، وبالنسبة لفيلم "الأخوة الأعداء" فيؤسفني أنني لم أره حتى أصد حكمًا.. هل رأيته أنت.. ما رأيك..؟

- "قلت له انطباعاتي عن الفيلم.. ولن أذكرها هنا فالقارئ يهمه رأي نجيب محفوظ لا رأي أنا".

عدت أتابع الحديث مع نجيب قلت: من هو الوجه السينمائي الذي تريحك مشاهدته على الشاشة.. وما هو الصوت الغنائي الذي تعطي له أذنك بارتياح أيضًا.. ومن هو الممثل المثري الذي ترشحه للعالمية؟

– وجه سعاد حسني أرتاح لمشاهدته على الشاشة.. وبعد أم كلثوم أحب أن اسمع صوت فيروز وعفاف راضي.. ومحمود مرسي هو الممثل المصري الذي يصل إلى مستوى كبار النجوم العالميين.

- سؤال أخير.. كنت اعرف سلفًا أنه لن يجيب عنه: ابنتك لو فرض وعرض عليها أن تمثل في السينما هل توافق؟

– أطرق طويلاً.. بعد الصمت نظر إليّ.. فهمت لغة النظر.. امتنع عن الإجابة مهما يكن من أمر، كان الامتناع يتضمن الإجابة وإن كانت غير مباشرة.

"مايو" ١٩٧٥

نجيب محفوظ الأديب

لا يعرف الطبقات.. دائمًا يعرف الإنسان!:

تعودت في لكل حديث أجرته مع أدبينا الكبير نجيب محفوظ. أن أطرح عليه تساؤلاتي وأن أتحاور معه في قضايا ذات جوانب متعددة ومتباينة. في السياسة والأدب والثقافة والفنون، مستطلعًا وجهات نظرن التي تضيف إلى رؤيته الفنية التي يحققها من خلال أعماله الإبداعية.. لكن هذه المرة عندما أزمعت إجراء هذا الحديث معه لم يكن في خاطري إلا فيلم "الكرنك: المأخوذ عن قصة له تحمل نفس العنوان، فالفيلم بما يدور حوله وبما أثاره من تعليقات وآراء.. وبعشرات الألوف الذين تدافعوا لمشاهدته يوشك أن يصبح ظاهرة سينمائية. وغدًا يشكل مساحة شاسعة لا بالنسبة للمشتغلين بمسائل السينما والفن بحسب.. وإنما أيضا لقطاعات عريضة من جماهير شعبنا.

وحول الفيلم وما يثيره.. كان هذا الحديث مع كاتبنا المبدع الكبير نجيب محفوظ.

- قلت لأديبنا نجن محفوظ:

فيلم الكرنك المأخوذ عن قصتك التي تحمل نفس الاسم.. هلل حقق رؤيتك التي تضمنتها القصة.. أقول هذا لأننا تعوداناك دائمًا تقول بأن علاقاتك بأي فيم مأخوذة عن قصة لك تنتهي عند القصة ذاتها؟

- وأجابني نجيب محفظو في حماس واضح.

- حقق الفيلم رؤية القصة لدرجة كبيرة.. وزاد على ذلك تغطية الفترة الزمنية التي تلت مرحلة كتابة القصة، ولقد عاب البعض على ممدوح الليثي الذي أدمج حرب أكتوبر في الفيلم ولا غبار عليه في هذا.. والحق أن حرب أكتوبر لو كانت قد حدثت قبل أن أفرغ من كتابة القصة، لكنت أعدت النظر في الصورة التي ظهرت بها القصة. إن حرب أكتوبر تمثل شيئًا إيجابيًا مشرفًا.. وإذا كانت قد توقفت عند لحظات المرارة الشديدة فقد فعلت هذا مضطرًا لأني كنت أستهدف توافقًا مع مضمون العمل وتوافقًا مع ما استهدف التعبير عنه. وتوافقًا مع رؤيتي ككاتب عليه أن يصور الحقيقة بغير ما تغطية لمدلولها.. وأعود للقول بأن حرب أكتوبر لو كانت سبقتني لأعدت النظر فليس المفروض أن أغم الناس!!

- الكرنك.. بعيدًا عن قيمة القصة كنص أدبي.. من في رأيك كان له التفوق من حيث الفيلم السينمائي.. الإخراج.. السيناريو.. التصوير.. التمثيل؟

- أساسًا يجب أن نبعد الإخراج من القضية هنا.. لأن الإخراج مسئول عن كل شيء في الفيلم.. أي فيلم.. على عاتقه تقع مهمة تفوقه.. أو نتائج انهياره، إن أي تقريظ للفيلم ينسحب على الإخراج أو قدح فيه هو إدانة له.. إن بقية العناصر تتحمل مسئوليات جزئية، أما الإخراج فمسئوليته شمولية.. تبقى بقية العناصر التي ذكرت، لقد تضافرت جميع هذا العناصر في إنجاح الفيلم ولكن عنصر التمثيل كان واضح التفوق.. فما بالك بفيلم مثل الكرنك توفرت له عناصر تمثيلية ممتازة، إن دور فريد شوقي لا يمكن أن ينسى.. فريد طوال عمره ممثل محبوب.. ولكن أعماله الأخيرة تؤكد أنه فنان خصب ينوي على إمكانيات فنية هائلة.. (الكرنك) يقول هذا و"مضى قطار العمر" يشهد بذلك.. إنه فنان قادر على التطور.. والعطاء المتفوق..

- لا أعتقد أن فيلمًا عربيًا أو أجنبيًا في قد حقق من الإيرادات المذهلة ما حققه فيلم الكرنك الآن.. على الأقل في حدود ما أعرف.. قد يكون الفيلم ممتازًا وأنا لست هنا بصدد رائي الخاص فيه- ولكن هذه الإيرادات المذهلة هل ترجع على دعاية أعطاها صلاح نصر مجانًا للفيلم بواسطة الدعوة التي رفعها ضده.. فهو بهذا قد نبه الجمهور إلى أن الفيلم يدور حول الإرهاب الذي تعرضه له بعض الناس بواسطة أجهزة القمع؟

- نجاح أي فيلم يرجع أساسًا إلى عاملين أساسيين.. عامل أصلي هو مضمون الفيلم المؤدي بقيمة فنية معينة وعوامل غير أصلية، ولكن من غيرها لا يتحقق النجاح للفيلم، عوام تتعلق بجذب الجمهور إلى الفيلم على رأسها النجوم.. ثم الدعاية.. وفيم (الكرنك) توفرت له كل العوامل الأصلية والفرعية.

مضمون يعرض في لحظة تستقطب اهتمام كل الناس بالسياسة.. نجوم على أعلى المستويات.. دعاية جاءت له من السماء. كل هذا جعله يحقق النجاح الذي لم يحققه فيم مصري آخر.. الدعاية مهما تكن ضخامتها لا يمكن أن تنتقد فيمًا هابطًا من مصيره.. لأنها قد تخدع الجمهور بمجرد حفلة واحدة أو أكثر، ولكن بعد ذلك تتضح ويواجه الفيلم مصيره.. الدعاية تجلب الناس للشيء الناجح لتؤكده.. أما الشيء الفاشل فلا قوة في الأرض يمكنها أن تنقذه.. سذاجة أن يقال إن أي فيلم قد نجح لدعايته أو نجومه.. الفيلم كل متكامل من حيث الموضوع والإخراج والسيناريو والتمثيل. والتصوير والمونتاج وبقية المؤثرات التي تعطينا الفيلم في صورته النهائية.

- ما هي الحيثيات التي اعتمد عليها صلاح نصر في رفع الدعوى ضد المنتج وضدك؟

– أعتقد أنه يتعرض لمحاكمة في دعاوي مرفوعة ضده ولا يصح أن يكون عرضه لهجوم من أي نوع من شأنه أن يؤثر على مركزه، وقد بلغه أن شخصيته في الفيلم بالاسم، فلما عرض الفيلم تأكد له أن ما وصل غليه غير حقيقي.. واتضحت هذه الحقيقة للمحكمة فلم تأخذ بوجهة نظره في منع عرض الفيلم.. خالد صفوان من خلال الفيلم رمزًا للإرهاب ولكنه لم يتحدد بشخصي معين؛

- على ضوء الأفلام السياسية التي عرضت في مصر.. "زائر الفجر" و "الكرنك" هل بلورت السينما المصرية رؤية سياسية لها ملامحها الخاصة؟

– إن الفيلم عمومًا هو نوع من نقد المجتمع يستهدف التركيز على قيمة معينة من خلال إدانة نقيضها أو الهجوم على شيء معين للإيحاء بالبديل له.. وهو بهذا يصبح سياسيًا في حقيقته ولكن بطريق غير مباشر.. أما الفيلم السياسي فهو نقد للحياة السياسية أو بعض جوانبها من خلال وضوح الزاوية السياسية التي ينطلق منها.. ومن هذه الناحية أعتقد أنه قد حقق أغراضه..

وهناك نقطة أحب أن أتوقف عندها.. مغالطة أن يقال أن الفيلم السياسي بدأ من سنة ١٩٧٥ أو أن يؤرخ له من هذا العام.. إن الأفلام السياسية لم تبدأ حديثًا، حتى قبل ثورة يوليو كانت هناك أفلام سياسية أذكر منها فيم "لاشين"، بعد الثورة هناك الأفلام المأخوذة من قصص سياسية.. أما أن يقال أن الفيلم السياسي بدأ اليوم فهذا زعم لا يقوم على أساس من الناحية التاريخية.. ثم ماذا يقال عن أفلام مثل "رد قلبي" و "في بيتنا رجل" و "هارب من الأيام" و "شيء من الخوف" و "الأرض" و"يوميات نائب في الأرياف" وغيرها.. والأصح أن يقال عن "زائر الفجر" وعل "على من نطلق الرصاص" و"الكرنك" أنها آخر أفلام سياسية وليست أول الأفلام السياسية.

- في رأيك.. هل الذين يقدمون على إنتاج الأفلام السياسية في مصر.. يستهدفون الربح عن طريق النجاح الذي تحققه إثارة الأفلام السياسية.. أو هم أصحاب رسالة يتوخون تأكيدها بهذه الأفلام؟

  - أنا لا أستطيع أن أجوس داخل السرائر لأحكم عليها.. ولكنني أستطيع القول- لو كنت منتجًا- بأن هناك هدفين لا يغيبان عني. الجودة من جهة.. والربح من جهة أخرى.. لأنني عندما أقول لك: لقد نويت يا عبد العال أن أتشغل منتجًا ولا تعنيني مسألة الربح في شيء.. فأنت حينئذ سوف تشك في علقلي.. ولكن العيب أن أقول لك إنه لا شيء يعنيني غير الربح وحده.. ولأضرب لك مثلاً.. هناك تاجر أمين ولكنه يستهدف مثلاً الربح، وهناك تاجر غشاش لا يهمه غير الربح.. إن كل المنتجين الأصلاء يقدمون الفن الجيد وفي خاطرهم الربح.. أما الدخلاء على مهنة السينما أساسًا فهم الذين يفكرون في الربح وحده!!

- شاهدنا في السنوات الأخيرة هنا بعض الأفلام الأجنبية السياسية الممتازة "زد. و"قضية ماثيه" و "انتهى التحقيق" هل يمكن أن يقف "الكرنك" ندًا لهذه الأفلام؟.

  - للأسف سمعت عن هذه الأفلام وقرأت عنها ولكن لم تتح لي فرصة مشاهدتها ليمكنني الإدلاء برأي يستند على الموضوعية، في العشر السنوات الأخيرة لم أشاهد إلا أفلامًا تعد على أصابع اليد الواحدة.. وبالنسبة لهذه الأفلام فأنا أعتقد من خلال مشاهدتي لفيلم الكرنك ومن خلال ما قرأته عن هذه الأفلام فإن فيلم الكرنك لا يقل عنها امتيازًا مع اختلاف المستويات والإمكانيات بين هنا وهناك!!

- هناك وجهة نظر تزعم أن رؤية الفيلم تؤكد على ثورية الطبقة المتوسطة وصلابتها بينما تدين الطبقة الكادحة.. إذ لم تتحمل تعنت الإرهاب. وانهارت في النهاية، بل أصبحت في خدمته.. هل كانت روايتك تعني هذا.. وهل لو كان لك دور في إعداد الفيلم كنت توافق على أن ينحو الفيلم هذا النحو؟

  - الواقع أن الطبقة الثورية بالمعنى المقصود في مصر وفي غيرها نشأت أساسًا من البرجوازية الصغيرة.. والطبقة الكادحة في الفيلم هي ثورية أيضًا.. والانحراف لم ينشأ من داخلها. وإنما فرض عليها قهرًا.. وأنا لم يكن في خاطري أن أركز على طبقة معينة.. إن أي أديب يكتب لا يكنون في ذهنه سوى الإنسان، أما التحديد الطبقي فيأتي أساسًا من المنتمين للنظريات السياسية.. ومرة أخرى أكرر أن الأديب لا يعرف الطبقة وإنما يعرف الإنسان. وأنا عمري لم أفكر في طبقة بعينها إطلاقًا.. إن

العاطفة الأساسية في روايات هي السعي للعدالة الاجتماعية للمجتمع ككل وليس كطبقة.. إن العدالة قيمة إنسانية في صالح جميع البشر حتى الأغنياء الذين تتم على حسابهم العدالة.. إذ يتحولون على ناس أفضل لو كانوا يعلمون.. أبناء الإقطاعيين في مصر لقد أصبحوا الآن أطباء ومهندسين في خدمة المجتمع والتنمية.. وأصبحوا رجالاً يساهمون في المجتمع ويحققون إنسانيتهم.. لو كانوا قد نشأوا في ظل الأوضاع القديمة لأصبحوا في الغالب مجرد أغنياء يبعثرون أمواله في كل ما من شأنه أن يسقط قيمة الإنسان.: ولكن ثورة يوليو أنقذتهم من هذا المصير.. أما وجهة النظر التي ذكرته في سؤالك فهذا تفسير نظري لم يخطر لي على بال ولا أهتم به إطلاقًا!!

- نموذج خالد صفوان الذي قدمته لنا في (الكرنك) ما هو المناخ الذي يفرزه.. وا هو المناخ الكفيل بأن يقينا شر وجوده؟

  - في كلمة واحدة.. خالد صفوان مع الديكتاتورية تنمو عضلاته.. ولكنه في ظل الحرية والديمقراطية وسيادة القانون لا يمن أن يتحسس وجوده.. حتى إذا وجدت استثناءات لهذا مثل ما يحدث من المخابرات الأمريكية، فإن نور الديمقراطية سرعان ما يكشفه.. وهذا الذي يحث من إدانة للمخابرات الأمريكية ما كان يمكن أن يحدث في النظام الهتلري مثلاً.

- هنا عبارة جاءت على لسان خالد صفوان في الفيلم تقول: كلنا مجرمون وضحايا.. كيف يتساوى المجرم مع الضحية؟

  - العبارة التي تفوه بها خالد صفوان قالها بعد أن تجرد من نفوذه وتساوى بضحاياه بعد سجنه.. وهي في الرواية جاءت خلال وجوده في مقهى "الكرنك" وبصدورها منه في المقهى تحمل تعبيرًا معينًا لأنها موجهة إلى الشعب المصري متضمنة شخصه.. فهو يعني أن والشعب المصري كانوا ضحايا التعذيب.. لأن الذي يعذب والذي يقع عليه التعذيب كلهم.. سواء منهم ضحايا التعذيب وهم مجرمون لأنهم بسكوتهم يتحملون المسئولية من كل ما كان يمارس من اعتداء على إنسانيتهم ولا يمكن تبرئة الشعب من مسئولية ما حدث.. فالظالم لا يوجد غلا في وجود من قبل الظلم.. ولكن في الفيلم اختلف مكان العبارة.. فقد قالها وهو في السجن وهذا ما أعطى العبارة مدلولها في الرواية.

- كان الناس يتساءلون خلال مشاهد الفيلم في ذهول ودهشة.. أحقًا حدث هذا؟. أنت لم تستمد القصة من فراغ بالتأكيد، كانت هناك أرضية أنطلق منها خيالك.. وكلن أحقا كان يحدث هذا؟

  - الحقيقة أن ما تخيلته وجعل الناس يقولون: أحقًا حدث هذا؟ أتضح أنه لا شيء يذكر بما وقع، إن الكتب التي صدرت عن ضحايا التعذيب تذكر وقائع يتضاءل بجانبها ما جاء في الفيلم.. ولو تأخر نشر رواية (الكرنك) بعد نشر هذه الكتب لما وجدت في نفس الشجاعة في نشرها!!

- زعم البعض أن فيلم "الكرنك" هو ضد ثورة يوليو ما رأيك؟

  - الكرنك يدين الإرهاب.. وهو سلبية لوثت ثورة يوليو ولا علاقة لها بروح الثورة ومبادئها.. وفي الفيلم اعتراف وضاح بمزايا ثورة يوليو.. وغير مقبول أن يتصور البعض أن إدانة الإرهاب إدانة للثورة.. وأنا أتحدث هنا عن الفيلم ولا أتحدث عن الرواية.. ثم إن الفيلم يمجد ثورة التصحيح وهي جزء من مسار ثورة يوليو ومن إنجازاتها.

إبريل سنة ١٩٧٦

الدكتور محمد عزيز الحبابي

أدب الغموض.. عجز لا أحترمه!

زار القاهرة في الفترة الأخيرة الدكتور محمد عزيز الحبابي مستشار البحث العلمي بوزارة التعليم العالي بالجزائر وعميد كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالمغرب منذ سنوات. والدكتور الحبابي مفكر مغربي له مكانته المميزة لدى الدوائر الثقافية في العالم الثالث.. وله دوره البارز في إثراء الفكر العربي والتأثير في الفكر الأوروبي أيضًا.. فقد اقتحمت كتبه بجسارتها وثوريتها. ومعاناتها. واقعنا العربي المعاصر.. غوصًا في داخله. وكشفًا لمكوناته.. وحاولت أن تجد لنا طريقا ملائمًا نسلكه وسط عديد الطرق المتباينة.

ولتكون لنا ممراتنا المرصوفة وسط أدغال العصر وغاياته.. وليمكننا أن نتخطى أزمتنا الراهنة. ويعود لنا من جديد دورنا في الإسهام الحضاري للإنسان.

ومؤلفات الدكتور الحبابي تغطي بجانب العربية كثيرًا من اللغات الأخرى. لأن أغلب كتبه ودراساته المكتوبة بالفرنسية والعربية قد ترجمت على ما يزيد على ثلاثين لغة. لأنها تجتهد دومًا في أن تقدم رؤية مفكر شريف تؤرقه هموم العصر وتعذبه مشاكل الحضارة. فيحاول أن يبحث عن مستقبل يكفل الخلاص. ويعصم إنسان هذا العصر من طوفان التقدم الزائف الذي يكرب روح هذا الإنسان ويعصرها.

والدكتور الحبابي هو صاحب مذهب "الشخصانية الواقعية" ورائد هذا الاتجاه في عالمنا المعاصر.. وهو وإن كان يتوافق ويتلاقى مع الاتجاه الشخصاني في فرنسا والذي كان رائده هو

المفكر "ايمانويل مونيني" إلا أن مفكرنا قد تخطاه ليبلور شخصانية واقعية جديدة.. والكلمة التالية على لسان المفكر " اندريه فوالك" يمكنها أن تعطينا مؤشرًا للمكانة التي يحتلها الدكتور الحبابي لدى الدوائر الفكرية والجامعية في المغرب حيث يقول:

" إن رسالة هذا الفيلسوف العربي تستحق أن يتنبه لها الشرق والغرب لما فيها من أصالة وعمق " وما يشابه هذا قاله" منديس فرانس" رئيس وزراء فرنسا الأسبق وغيره من المفكرين، ولقد بلور الدكتور الحبابي مذهبه هذا في كتابه "من الكائن إلى الشخص" وكذلك في كتابه "الشخصانية الإسلامية" والكتابان أصدرتهما دار المعارف بالقاهرة.. وكذلك كتاب "من الحريات إلى التحرر" عن دار المعارف أيضًا. والدكتور الحبابي هو رئيس ومؤسس اتحاد كتاب المغرب العربي.. ومدير ومؤسس مجلة "آفاق" العربية. ومدير مجلة "الدراسات الفلسفية" بالفرنسية والعربية. ومدير ومؤسس "دار الفكر" بالرباط.. وعضو جميعة رجال الأدب بفرنسا.. وفي مؤلفاته المتعدد أحرز شهادات الدكتوراه بعض رجال الفكر والأدب من جامعات مختلفة.. وقد نال عدة أوسمة وجوائز عالمية تقديرًا لشخصه وفكره.. وقد انتهزت زيارة مفكرنا الكبير للقاهرة لأجرى معه هذا الحديث.

" باسم الحب أتهم!

" في المشرق يتجاهلون فنوننا

من المهم في عصر يتشابك مصيره.. وخصوصًا في عالمنا العربي الذي يعتبر الوحدة المنتظرة هي حلم تاريخه.. من المهم أن تتبادل الأقطار العربية ما لديها من ثقافات فهل ترى أن حركة التبادل بين الثقافات العربية تتم كما ينبغي.. أم أن هناك قصورًا من الأجهزة المسئولة عن هذه المهمة؟.

***

– أرى أنه ليست لنا ثقافات عربية متعددة.. إنما هي ثقافة واحدة.. بدليل ما ينشر في القاهرة أو في بيروت أو دمشق، وهو ما يغذي الفكر العربية بصورة عامة سواء في هذه العواصم أو في مكناس أو وهران أو الدوحة.. فلو انكمشت كل جماعة على إنتاجها الإقليمي المحض..

لما جاز لنا أن ندعي بأن هناك عالمًا عربيًا له ثقافة تميزه.. إذن هناك ثقافة عربية واحدة قد تتميز بتيار جدة الشعر في العراق.. أو بالجانب المسرحي في سوريا أو السينمائي بالجزائر.. أو بالمجالات الفكرية والإصلاحية في مصر. أو بغلبة الفنون التشكيلية في المغرب الأقصى.. إلا أن كل هذا مجرد جوانب لواقع واحد.. هو ما يسمى بالثقافة العربية.

لكن هذه الوحدة العلمية تجد من يعمل بقصد أو بغير قصد على تفكيكها ومحاولة اعتراض طريقها الطبيعية يتغلب الجانب الإقليمي الضيق.. مثلا ماذا تعرف أنت أيها الأخر عن الحركة الثقافية بالجزائر أو بتونس مثلا.. ربما يكون لديك شخصيًا ما يدحض تساؤلي.. ليكن.. فليس الأفراد هم القاعدة.. إن غالبية جماهيركم القارئة ليست لديها هذه المعرفة.. بالنسبة لنا في المغرب يختلف الوضع تمامًا.. نحن هنا نتابع حركة الشعر في المشرق.. نتواصل مع أحداث ما ينشر في الرواية والقصة عندكم.. ويعزي بعضنا البعض في طه حسين وتيمور ونقيم حفلات التأبين لعزيز أباظة.. ونتناقش حول آخر أغنيات أم كلثوم،.. ونتتبع المعارك الصحافية حول سياستكم الداخلية والخارجية.. أما أنتم، سامحكم الله فمنشغلون بأنفسكم عنا وتتجاهلون أخوة لكم خارج الحدود الجغرافية المصطنعة..

لقد عشنا معكم بجماع مشاعرنا خلال حرب أكتوبر.. حتى أطفالنا في المغرب وفي الجزائر كانوا يشعرون بأن المعركة مسألة تتعلق بمصيرهم وبكرامتهم.. هل أنتم على نفس الخط معنا؟ أنتم لا تعرفون ما يدور عندنا.. من منكم يعرف شعراءنا وكتاب القصة عندنا؟ من منكم يتابع حركة الفكر لدينا؟.،. الجواب- مع الأسف- معروف، ومرة أخرى ليس الأفراد هم القاعدة.. وهنا تكمن العرقلة الكبرى لمسيرة الثقافة العربية نحو النمو والاكتمال.. والذي أخافه هو أن يتدافع عن تقاطعكم نحونا رد فعل انفصامي يعترض التيار المتوثب نحو الثقافة الأفضل!

قد تبدو كلماتي جامحة المرارة.. ولكني بدافع الحب المطلق.. واسم الحب أتهم.. وحتى لا يكون الاتهام مفتقد الأسانيد الشرعية دعني أسأل: لديكم قاعات للعرض المسرحي في القاهرة والإسكندرية والأقاليم.. فهل ثمة مسرحيات مغربية عرضت من خلالها؟.

لديكم دور للعرض السينمائي فهل شاهد جمهوركم فيلمًا جزائريًا؟ هل هناك معارض أقيمت للفن التشكيلي في تونس إ نبعض دور النشر المحترمة في القاهرة وبيروت قد صدرت عنها بعض الملفات لكتاب من المغرب العربي.. ولكن الصحافة والمجلات المتخصصة وبقية أنواع الإعلام لم تشر إليها، ناهيك أن نتناولها بالنقد أو التعريف..

بعد هذا هل تجدني متجنيًا عندما أطلق الاتهام؟

- سيدي من حقي تجاه ما قلته أن ابدي ملاحظة.. ليست لدى مستندات الدفاع كاملة، لقد كتبت أنا عن كتابكم (من المنغلق إلى المنفتح) الذي صدر عن مكتبة الأنجلو وقام بترجمته من الفرنسية على العربية الأستاذ محمد برادة.. كتبت عنه منوهًا بأهميته ومحاولته الجادة للتوصل إلى حلول لأزمة عصرنا.. في مجلة "المصور" فعلت!

– شكرًا لأخوة سيادتكم ربما تكون هناك محاولات فردية من جانبك.. وجانب غيرك.. ولكنها لا تصل إلى مستوى الحركة المخططة التي تستهدف تحقيق فعالية الثقافة العربية بإدماج مسار أنهرها في مصب واحد!

ديكتاتورية دور النشر.. على اتحاد الكتاب أن يضع حدًا لها:

- ليكن.. هل لديكم ما تقترحونه لتغير الوضع على ما هو المفروض أن يكون؟

– كل الأجهزة الثقافية في أقطارنا العربية عليها أن تجند نفسها بجدية وإحساس بالمسئولية.. لتتكامل عملية التبادل الثقافي بما يجعلها تحقق أهدافها.. وعلى عاتق اتحاد الكتاب العربي تقع المسئولية بالدرجة الأولى.. لقد عرفت أن المسئولين عن الاتحاد يخططون لسياسة جديدة مثمرة.. ونحن ننتظر.. و بالمناسبة.. أتمنى أن يقوم هذا الاتحاد بتأسيس نقابة تدافع عن حقوق المؤلفين العرب.. إذ يجب أن تنتهي عملية الاستغلال التي تقوم بها دور النشر لاستنزاف جهودهم ماديًا ومعنويًا.. لقد مارست دور النشر في عالمنا العربي ديكتاتورية.. على اتحاد الكتاب أن يضع حدًا لطغيانها.. إن دور النشر مسئولة عما تعانيه الثقافة العربية من بطء في السير وقصور في التكامل.

***

- هل كان للحركة الأدبية والفكرية في المشرق العربي تأثيرها في اتجاهات ثقافة المغرب؟

– نعم.. بالتأكيد كان لها تأثيرها البالغ.. وفي إجابتي السابقة يمكنك أن تجد الرد مفصلاً!

التنكر للذات تدمير للشخصية.. الإعراض عن العصر أيضًا!!

أعطينا في الماضي.. وعلينا أن نتجاوز طور الأخذ:

- تراثنا العربي.. هل يتضمن ما يمكنه أن يعطي جديدًا لإثراء الحضارة الإنسانية.. أم أن ما لدينا يعجز عن الإسهام في حركة العصر الفكرية؟؟
  - بالتحديد.. ما الذي تعنيه هنا.. هل تقصد التراث القديم.. أو الجديد؟
- أقصد التراث القديم بالدرجة الأولى.. وأيضًا أعني ما لدينا من منجزات جديدة!
  - تراثنا القديم أثرى الحضارة الإنسانية بلا إدعاء أو مكابرة.. هذه حقيقة.. فابن سينا وابن رشد والخوارزمي والرازي وابن النفيس وغيرهم قد قدموا للإنسانية ما يجعلها تدين لنا به.. ولا أريد أن أدخل هنا في تفاصيل.. ولكن عندما توقفت ثقافة العرب الإسلامية عن النمو بفاعل عوامل ليس هنا مجالها، فما عادت ترضي نفسها ولا غيرها!

أما بالنسبة لما لدينا حاليًا فنحن في طور الأخذ أكثر من طور العطاء.. وهذا وقاع علينا أن نعترف به في شجاعة.. فكما أعطينا في الماضي علينا أن نأخذ في الحاضر على شرط ألا تكون مجرد ببغائية نعيد صدى أصوات الآخرين.. علينا أن نهضم ما نأخذه ونتمثله. وأن نعيد تشكيله ليتوافق مع بيئتنا وذاتيتنا.. وهذا الطور علينا أن نعمل كل ما في وسعنا لتجاوزه إلى طور الإبداع والإضافة للتراث الإنساني.. وليس لك بمحال إذا خططنا كما ينبغي... وقمنا بالتضحيات الحتمية لهذا.. وعلينا أن ندرك أن طور الخلق والإضافة لا تصله صفوة القوم منعزلة عن شعوبها.. فالمناخ العام الناضج هو الذي يعطينا عباقرة الخلف وأفذاذ الابتكار.. والتزام المثقفين نحو شعوبهم هو الوسيلة الناجحة إلى تحقيق فعالية الثقافة وشموليتها.. في الشعوب المتخلفة لا تتفجر العبقرية.. في خريطة العالم العربي لا تبرز أي قمة عالمية في علوم الطبيعة أو في علوم الإنسان.. ولكن هناك ثمة إرهاصات مبشرة.. هناك مبادرات فكرية، هناك طاقات إبداعية.. فنحن في فترة المخاض.. ورغباتنا الغامضة. لسنا في درجة الصفر، فلدينا توفيق الحكيم وميخائيل نعيمة وكامل حسين ونجيب محفوظ. وغيرهم من الذين لا تقل مستوياتهم عن مستويات من ينالون جائزة نوبل.. ولكن أغلبية شعوبنا العربية تعيش بعقلية اقل ما يقال فيها،ها غير مزامنة للمسيرة المعاصرة، وللتقنيات والعلوم الحالية.. وعلى كل الجهود أن تتصدى لتغيير هذه الذهنية.. لنندمج في القرن العشرين. دون أن نتخلى عن مقوماتنا الأخلاقية

والروحية.. وبهذا المزج بين العصر وقيمنا يمكننا أن نقدم شيئًا هامًا ومجددًا للتراث الإنساني فالتنكر للذات مسخ لشخصية والإعراض عن أوضاع العصر تدمير للشخصية أيضًا!

الحرية بدون التزام فوضى

- في كثير من كتبك مثل "من الحريات إلى التحرر" ومن "الكائن إلى الشخص" و "من المنغلق إلى المنفتح" وغيرها يلمس القارئ من جانبكم محاولة لتأسيس منهج للحرية.. بجان محاولة أخرى لتأسيس منهج الالتزام.. قد تبدو المسألة متناقضة.. فهل يمكنك أن تحدثنا عن الصلة بين الحرية والالتزام؟

  - ما أظن أبدًا أن هناك ثمة تناقضًا..الحمق هو الذي ينكر قوانين الطبيعة وحتمية الواقع.. كان "بيكون" يقول: "علينا أولاً أن نستسلم للضرورة قبل أن نسيطر عليها.. من هنا ننطلق.. فحينما أريد أن أنتقل من "دار الهلال" إلى الجيزة مثلا.. فلابد أن أفترض أن الانتقال يتطلب وقتا.. وهذا الوقت يخضع لأشياء خارجة عن إرادتي مثل حركة المرور وازدحام الشوارع.. وحركة سير العربة حسب حالتها.. والمسافة التي تفصلني عن المكان الذي أقصده.. فأنا ملزم بأن أخضع لهذه الاعتبارات وأن أتقبلها.. وبعد هذا تبدأ حريتي أنا.. إذ يمكنني أن أذهب إلى الجيزة.. عن طريق كوبري الجلاء أو عن طريق كوبري الجامعة.. يمكنني أن أتجه إلى (جاردن سيتي) أو أمضي في شارع القصر العيني. يمكنني أن أسر في شاعر المنيل أو أتجنبه. فأنا في البداية كنت ملزمًا بأشياء مفروضة عليّ من الخارج كالمسافة.. وكضرورة أن يكون في العربة نفط.. وأن تكون صالحة للاستعمال.. وأنا حر بعد ذلك في تكيفي معها.. هذا مثل بسيط..

  - ولكن إذا أردنا أن نضرب مثلا يتعلق بالتزام الكاتب وحريته يمكننا أن تقول.. أنا لم يكن لي الاختيار في أن أكون من العالم الثالث.. ولم تكن لي حرية الاختيار في أن أولد في القرن العشرين.. ولست السبب في أوضاع العالم العربي الراهنة.. ولكني ملزم بأن أتخذ مواقف من هذه الأوضاع.. وفي نفس الوقت تتأكد حريتي في اختيار الوسائل في كل موقف. وفي نوعية الموقف ذاته.. وفي اختياري للجماعة التي أعمل معها.. وللجماعة التي أناضل ضدها.. ووسائل المناصرة أو النضال هي أيضًا تدخل في إطار مفروض عليّ ولكنها متفتحة على أنواع كثيرة من الاختيارات.. فالحرية المطلقة إذن شيء وهمي والالتزام دون حرية عبودية وغباء،

فالإنسان حيوان اجتماعي.. أي أنه مسئول لأنه حر.. وملتزم لأنه يتحمل مسئولية حريته.. وبأبسط عبارة.. الالتزام حرية.. والحرية بون التزام فوضى..

شخصانيتي.. في الإسلام جذورها:

- "الشخصانية" التي تمثلونها أنتم.. هل ثمة جذور لها في الفكر العربية.. وأين يمكننا أن نجد هذه الجذور؟

– بصفتي عربيًا مسلمًا.. لابد أن يأتي إنتاجي الفكري متأثرًا بأوضاعي التاريخية طبعًا ثقافتي مزدوجة.. تأثرت بالفكر العربي في أغلب أطواره.. كما تأثرت بالاتجاهات الغربية المعاصرة.. فالذي لا يأخذ لا يمكنه العطاء.. ولا يستطيع المرء أن يعلم إذا لم يتعلم.. والشخصانية الواقعية، هذا الاتجاه الذي التزمت به.. تختلف عن الاتجاه الشخصاني في بعض المذاهب الفكرية الغربية.. لأن إضافة كلمة "واقعية" تعني الكثير.. فشخصانيتي تستمد مصادرها وتتجه محاورها إلى "واقعي" كمنتم للعالم الثالث.. وكمغربي كانت بلاده مستعمرة سياسيًا وعسكريًا.. وهي الآن تعاني من الاستعمار الاقتصادي والثقافي.. فالشخصاني المغرب العربي المسلم.. ليس هو الشخصاني البلجيكي الغربي المسيحي أو غير المتدين.

وعندما توالت كتاباتي في هذا الاتجاه. وتمكنت من إفراز الأبعاد العميقة والامتدادية التي تقوم عليها الشخصانية الواقعية.. بدأت تظهر في الغرب بعض دراسات تشير إلى "الحبابي الشخصاني المسلم" وهنا انبرى لي التساؤل.. هل هناك نقط اتصال بين الشخصانية والإسلامية..

وجاء الجواب في كتابي "الشخصانية الإسلامية" الذي صدر عن دار المعارف في القاهرة، وأكدت من خلال هذا الكتاب أن للشخصانية جذورها في الواقع المعاش وفي التاريخ الموروث وفي القرآن والسنة.. ولا يتسع المجال للحديث عن الشخصانية وكنهها.. ومن يهمه هذا يمكنه العودة إلى كتابي من الكائن إلى الشخص" الشخصانية الإسلامية والكتابان قد صدرا بالفرنسية أولاً قبل أن أترجمهما إلى العربية.

سنجور. وبدوي. والحبابي وفكر العالم الثالث:

- جاء في آخر كتاب صدر للدكتور مراج وهبه بعنوان: "محاورات فلسفية في موسكو" أن أحد المفكرين السوفييت زعم بأن للعالم الثالث ثلاثة مفكرين هم الرئيس السنغالي "سنجور" و"عبد الرحمن بدوي" و محمد عزيز الحبابي.. فهل هذا الزعم يطابق الحقيقة أم يجانبها؟

- هذا مجرد رأي من الآراء.. فقد يأتي مفكر آخر ويحصر مفكري العالم الثالث في واحد أو ستوسع إلى مائة أو أكثر. من بينهم الثلاثة أو بدونهم.. والشيء الذي أعتقده هو أنه لا صديقي سنجور ولا صديقي عبد الرحمن بدون ولا أنا شخصيًا يمكننا الادعاء بأننا نمثل تفكير العالم الثالث.. لكن الشيء الذي لا ينكر هو أننا جميعا من العالم الثالث.. وجميعنا ننشر ونحاضر كل في ميدانه.. هل العالم الثالث يجد صورته مائثلة في آثار بعضنا.. الجواب على هذا السؤال صعب.. لأن أغلبية العالم الثالث أمية لا تقرأ ولا تكتب ولا تعرف عن معطياتنا شيئًا. بجانب أن العالم الثالث يمثل أكثر من ثلث العالم، ومن المستحيل أن لا يوجد فيه إلا مفكرون ثلاثة مهما كانت قيمة ما يكتبونه؟

القوميات المتعصبة.. خطر على التاريخ:

- البعض يزعم بأن عصر القوميات قد انتهى.. وأن مسيرة التاريخ تتجه الآن نحو شمولية الكيان الإنساني الموحد.. ولكن بما أن الإنسانية مهما تلاقت خصائصها فهي في النهاية تتباين قسماتها. فهل ستلعب القوميات دورًا ما في تشكيل مستقبل التاريخ الإنساني القادم؟

***

– التشابه إلى حد الاختلاط فقر.. والتغاير في تكامل يغذي التاريخ وينمي العناصر المكونة له.. فالقومية بمعناها الضيق– أي الجنوح إلى الإقليمية المعصبة– شر على أنصارها وعلى الإنسانية كلها.. أما القومية بمعناها الرحب، بمعنى أن تعتز كل أمة بتراثها وشخصيتها ومكوناتها التاريخية والحضارية. ومدى عطائها للإنسانية كلها.. ونزعها إلى التمايز من خلال التوافق.. فتلك هي القومية التي تسهم في صنع التاريخ الإنساني ولا تشكل خطورة لا على نفسها ولا عليه.. فالقرآن يدعو ويؤكد بأن "الأقربون" أولى بالمعروف "فالقوميات في المفهوم الثاني هي وحدها التي تستطيع أن تلعب دورًا تاريخيًا في تقدم الإنسان.. أما في معناها الضيق فإنها

خطر.. لأنها مدعاة إلى الانقسام والتنافر. إن العصر القادم هو عصر التكامل الإنساني من خلال القوميات المتفتحة.

***

عصر التحليق بجناح واحد:

- في كتابك من الحريات إلى التحرر قلت: "إن العلوم الإنسانية ما زالت متخلفة عن النمو الحثيث لعلوم الطبيعة والتقنيات.. وفي هذا الطلاق البائن المريع تكمن مأساة الإنسان المعاصر، يوافقك على هذا كل الذين تؤرقهم أزمة عصرنا. ما الذي علينا أن نفعله لتضييق المسافة بين التقدم التقني والتخلف في علوم الإنسان؟

  - إن الحضارة الحديثة تنزع إلى تغليب التقنيات على المظاهر الإنسانية لحياتنا. وهي بذلك تعمد إلى إخضاع الإنسان الذي هو غاية أي تقدم وأي حضارة إلى ما هو مفروض أن يكون مجرد وسائل تخدم سعادته وتعطيه حياة أكثر بهجة وأعمق معنى.. وعلى هذا فلابد من إعادة التوازن لهذه الحضارة. حتى لا يحلق الإنسان بجناح واحدة.. وهنا لابد مهما ارتفع وحلق من أن يهوى في النهاية ليرتطم بصخرة الإخفاق المنتظر.. إن السبب في هذا الاضطراب وهذا القلق الذي يسود عصرنا يرجع في جزء كبر منه إلى الفوضى الأخلاقية والاقتصادية التي تسيطر على عصرنا، إن نظم الحياة السياسية والاقتصادية لم تحدد بعد أهدافا لخدمة الإنسانية تحديدًا صادقًا واضحًا.. فكلي نصل إلى حضارة حقيقية ذات طابع إنساني يتحتم علينا أن نعيد النظر بصفة عامة في الوسائل الفكرية والمجتمعية المطبقة داخل بياتنا.

المفكر والقصاص. والشاعر. أنا:

- أنت تكتب مفكرًا.. وروائيًا.. وقصاصًا.. وشاعرًا.. في أي جانب من هذه الجوانب يرى الدكتور الحبابي أنه قد حقق ذاته.. أو بمعنى آخر.. أي هذه الجوانب من العطاء أقرب إلى وجدانك..؟

  - أحيانًا ألبس الجلباب المغربي والبرونوس.. وأحيانًا أرتدي الصدرة والبنطلون المغربي.. تارة أبس شورتًا وقميصًا خفيفًا بنصف كم اتقاء لحرارة الجو.. وعندما يكون الطقس قارسًا أتدثر بالأصواف الثقيلة.. كل وقت يكون له ما يلائمه و

يلائمني.. ولكن.. أنا هو أنا في كل الأحوال.. حينما أريد بلوزة مفاهيم فكرية تقتضي مني تحليلات واستنتاجات وديالتيك.. فالدراسة الفلسفية ترشيح نفسها بالدرجة الأولى.. ولكن عندما أريد أن أتواصل مع جمهور أوسع من القراء..

وأن أتوجه إلى وجداناتهم ومشاعرهم أطلق العنان لقدراتي الفنية.. فهنا أجد أن الرواية أو القصة هي النوع الأكثر استجابة لي.. لأنن ما لدى لأقوله يتجسد في أشخاص وأحداث وأحاسيس ومواقف.. وحينما أمر بمكان وتخاطبني ذكريات.. وتمور مشاعر.. وتتدفق خواطر يطفو الشاعر من داخلي لعيبر عن هذا فإمكاناته.

على أني أ'تقد أنه ليس هناك بين مختلف وسائل التعبير أي تناقض أو حواجز لا تخترق، فالرسالة الفكرية تنتخب كل الوسائل لتنتقل من متكلم إلى مخاطب.. فالحبابي إذن يجد نفسه في كل ما يكتب.

أدب الغموض عجز.. لا أحترمه:

- حركة الشعر في المغرب العربي.. ما هو موقفها الراهن.. هل هي تلتزم بعمود الشعر التقليدي.. أم هناك من يحاول التجديد.. وهل كان لحركة الشعر الحديث في المشرق صداها عن شعراء المغرب؟

  - عندنا من يلتزم بالشكل العمود.. وعندنا من يجدد أيضًا.. وقد كان لحركة الشعر الجديد في المشرق تأثيرها عند شعراء الشباب في المغرب العربي.. وحركة الشعر عند هؤلاء الشباب تمتاز بتعبيرها عن إيقاعات العصر.. وأنا معجب بكثير من هؤلاء.. ولكني في نفس الوقت لا أوافق على إغراق بعضهم في الغموض والتغريب.. أنا ضد أجب الغموض.. ولا أحترمه.. إن الفكرة الناضج والعاطفة الصادقة المتبلورة هي التي تبرز على مستوى التعبير واضحة.. قادرة على التوصيل. قابلة للمشاركة والتفاهم.. وأنها لأكذوبة ومغالطة الإدعاء بأن الغموض يفرضه عمق الفكر.. الغموض عجز عن التوصيل لا أكثر.. وكل ادعاء بعد ذلك لا يعني إلا محاولة فاشلة للتغطية.. تغطية العجز كما قلت..

عالم الغد.. الاتزان والتوازن:

- عن "دار الهلال" ستصدر قريبًا روايتكم "الأكسير والحياة" هل هناك ثمة أعمال أخرى لكم في الطريق إلى القارئ؟

- لدى كتاب سيصدر بالفرنسية قريبًا بعنوان "آلام موقعة" في جزءين وهو ترجمة لنماذج من الشعر العربي في مختلف البلدان والعصور. وإن كان الجزء الأول منه يختص بترجمة بعض الشعر الفلسطيني.. وشعر جزائر ما قبل الثورة.

ولدى كتاب آخر سيصدر بالفرنسية أيضًا بعنوان "عالم الغد" أو "العالم الثالث يتحدى" وهو عبارة عن دراسة تحليلية للأوضاع العالمية الحالية في جوانبها المختلفة.. وقد استخلصت من تحليل هذه الأوضاع نتائج تؤكد ضرورة قيام عالم جديد يعطي للإنسان واقعًا أفضل. أكثر توازنًا واتزانًا..

- أريد أن أعرف هل كتابكم "آلام موقعة" عبارة عن تاريخ للشعر العربي.. أم دراسات نقدية له؟

- لا هذا ولا ذاك.. لست مؤرخًا للأدب.. ولست بناقد أيضًا.. أنا أتذوق الشعر.. وقد دفعني تذوقي هذا إلى اختيار مجموعة من القصائد رأيت أنها تعبر عن جانب من آثارنا الفنية يجسد الروح العربية في آلامها وآمالها.. وقمت بترجمتها إلى الفرنسية عسى أن أسهم في التعريف بقضيتنا لدى من يقرأون بالفرنسية.. وهذا من جانبي أضعف الإيمان.. إن قضيتنا في مسيس الحاجة إلى التعبير عنها فنيًا.. ولا شيء اقدر من الفن الجيد على اكتساب مشاعر التأييد والتعاطف مع القضايا العادلة.

" إبريل" ١٩٧٤

دكتور شوقي ضيف

أحمد شوقي: أمير شعراء كل العصور!

احتفلت مصر بإحياء ذكرى شاعرها وشاعر العروبة الأعظم "أحمد شوقي" وتحول بيت شوقي "كرمة ابن هانئ" المطل على النيل في الجيزة إلى متحف قومي يضم تراثه الشعري والمسرحي وآثاره وكل ما يخصه.. تقديرًا من الدولة لشاعر قد استخرج من لغة العروبة أجمل ما فيها ليشكله قريضًا يتدفق باقتدار الشاعرية وجمال الفن.. متغنيًا بأمجاد مصر والعروبة والإسلام!

وشوقي لا يخص مصر وحدها.. فهو شاعر العربية في كل ديارها.. لهذا جاءت وفودها تشارك في الاحتفال وتجدد له البيعة أميرًا للشعراء.. كما جاءت وفودها من قبل تخلع عليه الإمارة وتسلمه مقود الزعامة.. وليس هناك من شاعر عربي التقت حوله قلوب العرب وبلغ من الشهرة وحقق من المجد.. ما أتيح لهذا الشاعر المنفرد.

فقد كان الشرق بأسره وما زال يتغنى بشعره.. ويوم كان يرسل قصيدة جديدة كان العالم العربي يعتبر ذلك حدثًا يشغل الناس.. فتتداولها المحافل.. وتشدو بها الألسنة.. وبجانب إنجازاته الشعرية كان هو الرائد الأول لفن الشعر المسرحي في أدبنا العربي. وأنه عبّد أرضًا لم يطرقها أحد من قبله.. وإذا كانت الأمة العربية قد أفاضت عليه من حبها وتقديرها كجماهير قارئة ومستمعة.. فإن الأدباء والنقاد قد انقسموا حوله ما بين أنصار يفرطون في الحب إلى حد اعتبار شعره معجزة تسمو على النقائص أو الهنات.. وخصوم يكدون يجردونه من كل حسنة ويعتبرونه

شاعرًا مصنوعًا يتفقد الأصالة والشاعرية.. ولم يكن كل ما كتب عنه يجرى على هذه الوتيرة.. فهناك كتابات اتسمت بالإنصاف والموضوعية.

ومن هذه الكتابات دراسة قدمها الدكتور شوقي ضيف منذ ربع قرن في كتاب بعنوان "شوقي"- شاعر العصر الحديث.. والآن تسوقنا المناسبة للتساؤل: هل تغيرت نظرة المؤلف إلى شوقي بعد هذه الفترة.. هل هناك- في الكتاب- ما يمكن أن يتراجع عنه أو ما يمكن أن يضيفه جديدًا لرؤيته عنه..

بجانب أسئلة أخرى عنت لي.. توجهت بها إلى الدكتور شوقي.. ضيف.. وأعطاني الرجل هنا إجابته..

شوقي هو شوقي على الدوام:

- قلت للدكتور شوقي ضيف:

يعتبر كتابك "شوقي شاعر العصر الحديث" من أهم الدراسات التي مسحت عالم شوقي بكل جوانبه الآن وبعد ربع قرن على وضع هذا الكتاب.. هل تختلف رؤيتك لشوقي.. عن الرؤية التي تضمنها الكتاب السالف ذكره؟

- لا تختلف رويتي الآن لشعر شوقي عن رؤيتي له منذ نحو ربع قرن، حين الفت كتابي عنه. ذلك أن شوقي يحتل في شعرنا الحديث مكانة رفيعة. لا في مصر وحدها بل في العالم العربية. جميعًا.. وهي مكانة يشترك معه فيها البارودي وحافظ إبراهيم، فهم الذين استطاعوا أن يكسبوا لمصر زعامة الشعر العربي في العصر الحديث، يعد شوقي أكثر من صاحبين عذوبة في الألفاظ وتحليقًا في آفاق كبيرة. وبذلك يعد السابق المجلى في التمكين لمصر من هذه الزعامة التي سبقت زعامتها للعالم العربي في النثر بعشرات السنين!

وهذه الرؤية لمكانته هي التي دفعتني إلى دراسته بموازنين عادلة.. إذا انقسم النقاد في زمنه بين متحيزين له ومعصبين عليه. فأردت أن أتبين حقائقه الأدبية في وضوح.. بكل ما في شعره من تيارات.. وما ساد فيه من مؤثرات.. وما ابتكره من مسرحيات، ولا تزال نفس الرؤية ثابتة في نفسي لا تختلف عن رؤيتي القديمة لا في قليل ولا في كثير!

***

- من أهم إنجازات شوقي مسرحه.. كان قيمة كبرى في عصره.. بجانب فضل الريادة.. هذا المسرح هل ننظر إليها الآن كتراث.. أنو في اعتقادك أنه ما زال يصلح للعرض والذوق المعاصر. ولمكنه أن يجد جمهورًا يتقبله؟

– لا شك أن شوقي يعد أول من أوجد للعرب في العصر الحديث مسرحًا شعريًا.. فقبل مسرحه لم تكن هناك إلا بعض مسارح هزلية أو مسارح للغناء والطرب.. وبذلك يكون بحق هو الرائد الأول للمسرح العربي الحديث. وهي ريادة تعددت في المسرحيات. فهناك خمس مآس شعرية ومسرحية نثرية غير مهزلته المعروف" الست هدى".. ولشوقي دائمًا نظرات نافذة، فكما أنه بث شعره الغنائي الروح الوطنية العربية وجسدها في أروع القصائد، كذلك صنع في مآسيه. إذ أودع في ثلاث منها العواطف الوطنية المصرية "مصرع كيلوباترا– قمبيز –على بك الكبيرة، وفي القومية العربية "مجنون ليلي–عنترة–أميرة الأندلس" والأخيرة كتبها نثرًا لا شعرًا.

ولعل في ذلك ما بدل على أن هذه المسرحيات تحمل ما يؤكد لها البقاء. إذ مها ما يخاطب الجمهورية في كل زمان.. ومنها ما يخاطب الجمهور العربي في كل عصر. وليس هذا وحده ما يتيح لها البقاء. فشوقي في رأيي كان من الكادحين في هذا العمل، فهو حين أقبل على صنع مسرحيات لم يقبل عليها بدون دراسة.. بل حاول أن يدرس وأن يتعرف على المدارس المسرحية.. ووعي بقوة المدرسة الكلاسيكية الفرنسية في القرن السابع عشر. وعرف أنها تستمد مسرحياتها من التاريخ كما فعل كورني وراسين فحاكاهما في هذا الاتجاه.. وأيضًا في كونها تغلب الواجب على العاطفة فكيلوباترا ضحت بحبها لأنطونيو من أجل مصر:

أموت كما حييت لعرش مصر وابذل دونه عرش الجمال

وتيتاس ضحت أيضًا بحبها لتاسو وقبلت الزواج من قمبيز حتى تفدي شعبها من شروره قائلة:

ومالي لا أعطى الحياة إذا دعت بلادي، حياتي للبلاد ومالي

وبالمثل ضحت ليلى بحبها لقيس حفاظًا على التقاليد القبلية والعرف العشائري. وبالمثل وعى كذلك المدرسة الرومانسية إذ نراه يتأثر بها في مرحه، ويتضح هذا التأثير في انفصاله معها عن المدرسة الكلاسيكية وما تقيدت به من نظرية الوحدات الثلاثة "وحدة الزمان والمكان والموضوع" فه ومثلاً لا يتقدي بوحدة الموضوع فيجرى في مآسيه بعض القصص الجانبية بجانب القصة الأساسية فقد أجرى في "مصرع كيلوباترة" بجان قصتها م أنطونيو وهيلانة. وذلك عنده لا

يفسد التحام الحوادث في المسرحية. وتأثر أيضًا بالمدرسة الرومانسية في إدخاله العناصر الفكاهية في المسرحية مخالفًا بذلك المدرسة الكلاسيكية التي كانت ترى الفصل بين الأنواع.

وفي هذا ما يؤكد بقوة على أن شوقي لم يهجم على التأليف المسرحي دون دراسة وثقافة، وقد انتخب لنفسه ما يراه ملائمًا لشعبه من المسرحين الكلاسيكي والرومانسي، ولم يقف عند ذلك فقد تمثل الأحوال السياسية لشعبه والشعوب العربية فأدخل العواطف الوطنية القومية. كما أدخل تيارًا أخلاقيًا. وبالمثال أدخل تيارًا غنائيًا. إذ تراه يتوقف في مسرحياته ليعطي الفرصة لمواقف غناء وتلحين من حين لآخر حتى يشبع رغبات جمهوره الذي حاول أن ينتزعه من مسرح الغناء والطرب السابق له.. وهذا معناه أن شوقي حاول أن ينفذ إلى مسرح عربي جديد يلائم المصريين والعرب جميعًا. ولعل في هذا ما يدل على أن مسرح شوقي لا يزال صالحًا للعرض. ولا يزال من الممكن أن يجد جمهورًا يقبل عليه. لأنه مسرح متكامل من الوجهة الفنية الخالصة.. ويرضى المشاعر الوطنية والقومية.

وحقًا هناك نقد وجه إلى مسرح شوقي وكلنه لا يهدم مسرح شوقي. إنما هي آراء نقدية من شأنها أن تنير السبيل أمام المحاولات الجديدة!

عاد من المنفى فتدفق شعره بالوطنية:

- "يلاحظ أنه بعد عودة شوفي من منفاه بعد ثورة ١٩١٩ تدفقت أشعاره بالوطنية والتغني بالقضايا العربية.. ولم تكن بهذا التدفق قبل هذا التاريخ.. ما سر هذا في اعتقادك؟

– معروف أن شوقي ظل حتى منفاه بعد خلع الخديو عباس يعيش حبيس وظيفته في القصر نحو ربع قرن لا هم له إلا تدبيج المدائح في عباس.. فإن تركه فإلى الوجهة التي يريدها في مدحه للخليفة التركي. وبذلك ظل يعيش في درب محفوف بالأشواك مقيدًا بأقفال تحول بينه وبين الحرية في أن يكون خالصًا لوطنه. ولكن ينبغي أن نلاحظ أن شوقي رغم هذه القيود التي كانت تبهظه حاول أن يتخلص من ذلك حينًا بعد حين. وكان أول ما صنعه نظمه لقصيدة كبار الحوادث في وادي النيل "وفيها نستشعر به لمصر وإحساسه القوي بأمجادها الغابرة في مثل قوله:

وبنينـــا فلـــم نخـــل لبـــان وعلونـــا فمـــل يجزنـــا عـــلاء

وعلينا أن نتذكر قصيدته عن "أنس الوجود" وكذلك قصيدته عن "النيل" وخما رائعتان يتجلى فيهما حبه لمصر وإحساسه المتدفق بها.

ثم ينفي إلى اسبانيا بعد خلع عباس ويحس في أعماقه بظلم المستعمر الذي حرمه من وطنه ويظل يتغنى بوطنه وأمجاده.. وبالعروبة.. ويعود من المنفى ليجد أبواب القصر مغلقة دونه. ويجد دماء الشباب الزكية مراقة على ثرى وطنه فيستشعر العواطف الوطنية بقوة. ويصبح منذ هذا التاريخ شاعر الشعب المعبر عن الأمة وأحلامها.. ويرتجف لكل ما يرتجف فله الشعب. ويسعد بكل ما يسعده.. وينطلق ليستحث الشباب على الجهاد والفداء.. ودحر المستعمر والقضاء على وجوده.. ويجعل من التغني بأمجاد الوطن الغابرة دافعًا للشباب كي يستعيدوا لهذا الوطن أمجاده.. والكفاح من أجل أن يكون مستقبله كما كان ماضيه..

ونخلص من هذا أن الوطن لم يكن غائبًا عن شوقي في شعره منذ بواكير حياته.. وقد استحال في شعره معبدًا كبرًا يرتل له أشعاره.. حتى إذا نفى وعاد من منفاه مضى يحاول أن يحيله بركانًا ثائرًا يأتي على المستعمر وأعوانه ولم يكتف بوطنه يحفزه على النضال فقد وقف بجانب كل بلد عربي ينازل الاستعمار داعيًا شبابه إلى الثورة وأهله إلى الكفاح وبقية أقطار الوطني العربي إلى مساندته.. لقد كان شاعر العروبة المعبر عن أحاسيسها ومشاعرها في كل مكان وقد امتلأ غضبًا وحنقًا حين علم بما فعله الاحتلال الفرنسي بدمشق من دمار ورعب بوقف يصرخ في أبناء سوريا يطالبهم ببذلك الدماء قائلاً:

وللأوطـــان فـــي دم كـــل حـــر يـــد ســـلفت وديـــن مســـتحق

وللحريـــة الحمـــراء بـــاب بكـــل يـــد مضـــرجة يـــدق

وكان لا ينسى ما يربط البلدان العربية من أواصر الرحم والقربى الوثيقة وما أروع تصويره لهذه القربى عندما يقول:

كلمـــا أن بـــالعراق جـــريح لمـــس الشـــرق جنبـــه فـــي عمـــان"

وظل على الدوام يتغني بالصلات التي تربط البلدين القيقين مصر والسودان:

وا هـــو مـــاء ولكنـــه وريـــد الحيـــاة وشـــريانها

تـــتم مصـــر ينابيعـــه كمـــا تمـــم العـــين إنســـانها

وعلى هذا النحو كان شوقي هو صوت مصر والعالم العربي.. والمعبر عن وجدانها نحوه.

موقع شوقي من خريطة الشعر العربي أين يكون؟

- سؤال أعتذر عن تقليديته. ولكنه قد يكون مهمًا بالنسبة لجيل جديد يريد أن يتذوق شوقي.. أي مسرحيا تشوقي بلغ القمة في نظرك.. وما هي القصيدة التي تعتبروها أروع قصائده؟

– هناك مسرحيتان تعدان في الذروة بالقياس إلى مسرحياته "مصرع كيلوباترا" ومن الغريب أن شوقي كتبها ليعارض مسرحية شكسبير "أنطونيو وكيلوباترا" وكأنما كتب لشوقي دائمًا أن يتفوق حينما يعارض غيره من كبار الشعراء. فإن من يقرنها إلى مسرحية شكسبير يعرف مدى قدرة شوقي الفنية.. والمسرحية الثانية هي "مجنون ليلى" فالبناء المسرحي فيها بالغ الإحكام. والشخصيات مصورة تصويرًا دقيقًا والصراع يمتد في خيط متصل. وتقل إلى حد ما نزعة الإطالة في جزئيات الحوار.. وهذه المسرحية جديرة بأن تستغل في "أوبرا" غنائية طويلة.

أما القصائد فمن الصعب أن نختار لشوقي قصيدة واحدة.. طبعًا هناك قصيدة "كبار الحوادث في وادي النيل" وهي أشبه بشريط من أشرطة دور الخيالة يعرض فيه تاريخ مصر منذ أبعد الأزمنة.. ولا تقل عنها روعة قصيدته في النيل.. التي جسدت شخصية النيل المعنوية بجانب شخصيته الحسية.. وبجانبهما تلقانا فرائده في المديح النبوي.. ودالية التي يخاطب فيها شباب مصر بقوله:

وجه الكنانة ليس يغشب ربكم أن تجعلوه كوجه معبودا

إن الذي قسم البلاد حباكموا بلدًا كأوطان النجوم مجيدا

قد كان والدنيا لحود كلها للعبقرية والفنون مهودا

- موقع شوقي من خريطة الشعر العربي في مختلف عصوره أين يكون؟

– في رأيي أن شوقي يعد أكبر شاعر في العصر الحديث لروعة موسيقاه وشاعريته وإذا أردنا أن نقرنه بأعلام الشعر العربي في عصوره على مر التاريخ نجده يأخذ. مكانة سامقة بين أفذاذهم ومن الصعب المقارنة بينه وبين أحدهم لاختلاف العصور والظروف والثقافات. ومع ذلك فهو يعد في الذروة. ذروة يندر أن يبلغها أحد منهم!

يونيو سنة ١٩٧٧

دكتور/ رشاد رشدي

الناقد كالعالم.. ليس له أن يفرض على الظاهرة مشاعره الخاصة!

دكتور رشاد رشدي عميد أكاديمية الفنون.. واحد من أعمدة حركتنا الأدبية والفنية.. فهو أحد عناصر التأثير البالغة الفعالية في حركتنا النقدية منذ الخمسينات.. وقد يختلف بعضنا مع وجهات نظره.. ولكن لا يستطيع أن ينكر أنها أشاعت مناخًا نقديًا بجّر الحوار والنقاش واستفادت بها الحركة الإبداعية. وأثرت اتجاهاتها.. وكما أثار العواصف والمعارك والحوار من خلال دوره النقدي.. فقد فعل نفس الشيء بعطائه قاصًا وروائيًا وكاتب مسرح أسهمت مسرحياته في تشكيل معالم حركتنا المسرحية العربية.. بجانب هذا كان له دوره الهام والأساسي في رحاب الجامعة.

- قلت للدكتور رشاد رشدي:

أكاديمية الفنون التي أنت عميدها– ما هي أنشطتها. والرسالة المستهدف من إنشائها؟

– تضم الأكاديمية كثيرًا من المعاهد الفنية.. الكونسرفاتوار.. معهد الموسيقى العربية.. معهد النقد الفني.. معهد السينما.. معهد الفنون المسرحية معهد الباليه.. معهد دراسات الفنون الشعبية، وكل هذه الأنشطة تستهدف إيجاد عناصر فنية متخصصة كل في مجاله.. عناصر تعتمد في مكوناتها على الثقافة، فما عاد الفن مجرد موهبة تلقائية عفوية.. بجانب إيجاد أجيال تتذوق الفن وفقًا لأصول نوعيته.. فمتلقي الفن يجب أن تساند الثقافة أيضًا ذوقه الخاص.. وبهذا تكون رسالة الأكاديمية هي

تغذية الحقل النفي في مجالاته المتباينة بكفايات فنية مثقفة.. إثراء للفن ذاته وتغذية للمناخ الفني. بجانب ترشيد الذوق الفني عن الجماهير.

- قد يتفرد الفنان في مجال نوعيته الخاصة.. ولكن بشرط ألا يكون مقطوع الصلة ببقية الفنون الأخرى.. هل هناك تفكير في الربط بين مناهج معاهدة الأكاديمية لتحقيق التخصص من خلال التنوع؟

- بالتأكيد لم يغب هذا عن خطط مشروعاتي.. فهناك محاولة لتدريس مواد مشتركة بين الجميع في كل المعاهد.. على سبيل المثال. ماهية الفن.. تاريخ الفن.. الحضارة الإسلامية.. تراث الثقافة العربية.. التذوق الموسيقي.. معالم الأدب العالمي.. هذا كله مادة مشتركة بين الجميع. د

- أعتقد أن طبيعة معاهد الأكاديمية تختلف عن أي كلية أو معهد جامعي.. يمكن بالدراسة أن أتخرج دكتورًا أو مهندسًا أو محاسبيًا أو محاميًا.. ولكن بالنسبة للنشاط الفني والإبداع الفني هناك اعتبارات أخرى، فالفنان مسألة لها خصوصيتها المغايرة.. هل ستعتمد الأكاديمية في قبول طلبتها على الشهادات والمجاميع.. أو هناك مقاييس أخرى؟

- ليست المقاييس التي تتحكم في الالتحاق هي مجرد الشهادات وحدها... هناك الاستعداد الخاص للفرع الذي يريد الطالب أن يدرسه.. من أجل هذا يتم امتحان قبول على ضوئه يمكن معرفة الإمكانيات المتاحة لدى الطالب أساسًا والتي تؤهله لدراسة ما يبغي دراسته.. وبدون هذا الاستعداد الخاص لن تفتحه له الأكاديمية أبوابها.

- التقليد الذي استنته الأكاديمية مؤخرًا بمنح الدكتوراه الفخرية لتوفيق الحكيم ومحمد عبد الوهاب. مبادرة مشكورة لتكريم عمالقة الفن عندنا.. مع هذا يتبادر سؤال.. تعودنا في مثل هذه المسألة أن تمنح الدكتوراه جهات تملك أساسًا منح الدرجات العلمية كالماجستير والدكتوراه؟

- ومن قال لك إن الأكاديمية لا تملك هذا الحق. إنها جامعة فنون من مهامها أن تعطي شهادات الماجستير والدكتوراه كالجامعات الأخرى وفقً لأصول التقاليد الجامعية!

- طيب.. عبد الوهاب.. تصرف معقول أن تباد الأكاديمية بحكم طبيعتها لتكريمه، توفيق الحكيم أما كان الأفضل أن تأتي المبادرة من الجامعة؟

- بالنسبة للأكاديمية كان تصرفها طبيعيًا.. فالحكمي رائد في المسرح المصري وليس ذنبنا أن تكون الجامعة قد فاتها هذا، والحق أن الجامعة قصرت في حق الكثيرين من عمالقة أدبنا وفنوننا.. وسوف تمتد مبادرة الأكاديمية إلى الكيان العربي بأسره تقديرًا لأفذاذ رجاله في مجالات الفنون.

- أطلقت أنت تسمية "اللارواية" على عملك الأدبي "رحلة في القطار" وعملك الآخر "الرجل والجبل" إذن تحت أي جنس أدبي يمكننا أن نضع هذه الأعمال وما يماثلها.. وهل صفة اللارواية يمكنها أن تكون لها مواصفات تميزها عن بقية الأنواع الأدبية الأخرى.. خاصة الرواية؟

- اللارواية لون أدبي جديد في الأدب.. مثل مسرح العبث. وهي ضد التقاليد الموروثة للرواية.. إنها محاولة لكسر الشكل الروائي والخروج من إطار سياجه، فلا حوادث تتسلسل ولا رسم واقعي للشخصيات.. ولا وجود للزمن التقليدي إنها تداخل المشاعر والأحداث والمشاهد في إطار وحدة الإحساس بدون تحديد النسب والمسافات كما يحدث في الرواية بمفهومها التقليدي.

- المفاهيم التي حددتها القصة القصيرة في كتابك "فن القصة القصيرة" حيث استخرجت من أحشاء الأعمال القصصية العالمية المتميزة قواعد لتقنين القصة.. الآن وبعد تطور حدث للقصة في أدبنا وفي آداب غيرنا.. هل مازلت مصرًا على قوانين البداية والوسط والذروة ولحظة التنوير وغير ذلك؟

- ما زلت عند موقفي.. معتقدًا بصحة هذه القوانين.. برغم أن القصة القصيرة اتخذت أشكالاً أكثر تعقيدًا.. حتى والأشكال التجريبية لو نظرنا لها نظرة نافذة سنجد أن هذه القوانين كامنة في طواياها!!

- هل تعتقد أن المنهج النقدي ضروري لمصاحبة الناقد في مسيرته مع العمل الذي ينقده.. أو الأفضل أن يطرح الناقد منهجه جانبًا ليكتشف من داخل كل عمل على حدة مقاييسه الخاصة؟

- حتى لا يضل الناقد طريقه.. لابد من منهج نقدي أساسًا يعصم خطواته، والمهج السليم هو أن أكتشف قوانين العمل من داخله وإلا أفرض عليه نظريتي.. وأن أكون موضوعيًا تمامًا في التعامل معه.. كالعالم أمام الظاهرة التي يريد اكتشاف قوانينها ليس له أن يفرض عليها مشاعره الخاصة.. ولا يمكن أن يكون هناك نقد إلا بوجود هذا المنهج الموضوعي الذي يقترب من العلم كثيرًا.. لأن وظيفة النقد أن يرى العمل

الفني. كما هو في حقيقته.. وهذه مسألة تتطلب ثقافة واسعة. واقتدارًا على التذوق والتحليل والاكتشاف والمقارنة بالتقاليد الفنية التي ينتمي إليها العمل.

- رشاد رشدي الناقد.. في تقديرك ما الذي أضافه إلى مناخنا النقدي وهل شكلت وجهات نظره اتجاهًا له معالمه في نقدنا الحديث وفي إنتاجنا الأدبي أيضًا؟

– لا أدعي غير الحقيقة عندما أقول بأن وجهات نظري– عندما كنت أمارس النقد بطريقة مكثفة– خلفت مناخًا نقديًا من خلال التصارع بين مدرستين.. المدرسة الرومانسية بزعامة المرحوم محمد مندور. وبالمدرسة الكلاسيكية التي كنت داعيتها. وأعتقد أن كتاباتي النقدية ومعاركي بشأنها قد أشاعت باعتراف كثير من الشبان لونًا من التفهم لعلمية النقد وألقت الكثير من الأضواء على عملية الإبداع.. وساعدت على تصحيح مفاهيم خاطئة.. ومازلنا بحاجة إلى هذا فحتى الآن أغلب نقادنا ممن يعملون بالنقد– في الصحف على الأقل– تفصلهم فجوات كبيرة عن ماهية النقد وماهية الفن.. ويحكمون على الأعمال الفنية بواسطة الانطباعات.. وإضافة إلى ما ذكرت فلقد استطعت في الجامعة أن أخرج عناصر متذوقة إلى جانب عدد لا بأس به من المتخصصين الذين يمارسون النقد داخل وخارج الجامعة.. هذا دوري ما دمت قد سألتني؟

- الذي لا شك فيه– ومهما تباينت مدارس النقد– أن النقد الأدبي قد أحدث تأثيرًا كبيرًا في أدبنا الحديث.. في مجال الفنون الأخرى كالسينما والمسرح والموسيقى والفنون التشكيلية هل هناك نقد يشكل تأثيرًا في اتجاهاتها؟

– هناك محاولات.. مجرد محاولات بدائية لم تزل.. لا يوجد عندنا النقد الحقيقي في هذه الفنون.. والأمل معقود على خريجي معهد النقد الفني.. لأنهم يدرسون هذه الفنون مجتمعة.. والأمل معقود على خريجي معهد النقد الفني.. لأنهم يدرسون هذه الفنون مجتمعة.. ولو أتيح لهؤلاء المجال– وقطعًا سوف يتاح لهم– فسوف يسهمون في إشاعة وتفجير مناخ من النقد الفني في الفنون التي ذكرت.

- لماذا اخترت عم أحمد الفلاح بالذات لتحاكمه؟

– لأن عم أحمد الفلاح يمثل الشعب المصري الذي ظلم طويلاً وأهين طويلاً من حكامه وغير حكامه.. والمحاكمة تكشف عن جوهره وأنه لم يكن يستحق أبدًا ما لحق به.. فالمحاكمة تنتهي بأن يحاكم هو حكامه.. فالذي يستحق المحاكمة والإدانة ليس هو.. فأنا حاكمته أساسًا لأنصفه وليشهد الجميع ببراءته، لقد كانت المسرحية

من وحي حرب أكتوبر.. التي كسبناها بقوة روح الإنسان المصري أولاً. وعم أحمد الفلاح هو رمز هذا الإنسان المصري والتعبير عنه.

- ما هي المسرحية التي تعتبرها أفضل أعمال من حيث النص.. والمسرحية التي كان المسرح أكثر توفيقًا في توصيل وجهة نظرك من خلالها؟

  - وددت لو كان السؤال قد جاء معكوسًا.. "رحلة خارج السور" هي أفضل أعمالي ولكن الإخراج لم يتمكن من توصيلها إلى الناس.. المسرحية التي برزت إلى الناس كانت "بلدي يا بلدي" فالإخراج "ربحها" تمامًا.. وعلى كل ليس من الميسور أن يرضى المؤلف عن عمله مائة في المائة.. فله تصوره وللمخرج أيضًا تصوره!

- هنا يتبادر سؤال.. هل من حق المخرج أن يخرج النص من الزاوية التي يراها أكثر توفيقًا من جهة نظره.. أو عليه أن يلتزم أساسًا بحرفية النص الدرامي وتعليمات الكاتب بشأنه؟

  - من حقه أن يخرج النص برؤيته.. ولكن ليس من حقه أن يجور على رواية الكاتب وأن يبتعد عن إخراجه بأسلوبه الذي كتب به.. فالنص الواقعي لا يمكن إخراجه رمزيًا.. أو بالأسلوب البريختي كما حدث لمسرحية "رحلة خارج السور"!

- من هو المخرج الذي شعرت بأنه يفهمك. والممثل أو الممثلة الذي عبر أو عبرت عن إحدى شخصياتك ما تمنيت أن تراها مجسدة فوق المسرح؟

  - بالنسبة للإخراج كمال ياسين الذي أخرج اغلب أعمالي.. والمخرج الآخر هو جلال الشرقاوي.. بالنسبة للتمثيل سميحة أيوب.. وحمدي غيث وعبد الله غيث.

- مسرحك.. ما هي الرؤية الاجتماعية التي تقف خلفه؟.

  - الخلفية الاجتماعية لأعمال تتمثل في اعتبار أن الإنسان كمجتمع أو كفرد لا يمكن أن يقهر إلا إذا أراد هو ذلك.. ولا يمكن لإنسان أن يباع إلا إذا أراد هو أن يبيع نفسه.. هذه هي المسألة.. والذي يكمل هذا اعتباري أن الإنسان إذا باع نفسه مرة واحدة فسوف يبيعها على الدوام.. مع اعتقادي بأن الخلاص للفرد أو المجتمع هو الحب. الحب بمعناه الواسع الشامل.. وليست هناك وسيلة أخرى لهذا الخلاص غير الحب. فلو كنا نحب مصر كما ينبغي أن يكون الحب لما تركناها تتعذب وعملنا على خلاصها منذ زمن طويل!!

- دكتور.. هل تتهمنا بأننا لا نحب مصر؟! قلتها وأنا أشير لنفسي وللآخرين، فقد وفد علينا وقتها مجموعة من تلاميذه وطلبة الأكاديمية في شقته الأنيقة المطلة على النيل.

- نحن لا نحب مصر الحب الكافي.. حب مصر يعني أن نضحي بذواتنا إلى حد الفناء من أجل ذاتها.. ولكن ذواتنا لم تزل تحجب ذاتها!

- بعد الشوط الذي قطعه المسرح المصري. هل التمصير ضرورة لهذا المسرح؟

- ليس التمصير ضرورة.. قل على لساني إنه نكسة!

- هل هناك مسرحية من أعمالك.. ترى صلاحيتها لأن تقدمها السينما فيلمًا؟

- حاولوا معي بالنسبة "للفراشة" و"لعبة الحب" ثم انسحبت بعد العقد.. السينما "تسيح" الرواية، مؤخرا تعاقدت مع شركة أجنبية لتقديم مسرحيتي "شهرزاد" التي فرغت من كتابتها.

- المسرح السياسي في مصر. هل استطاع أن يوصل رؤيته السياسية بلغة الفن أولاً؟

- لا.. ليس هذا الزعيق فنًا.

- من هي المطربة التي تشجيك وتحرص على سماع صوتها؟

- أم كلثوم.

- بعد رحيل أم كلثوم؟

- مازالت أم كلثوم موجودة.

- آخر مسرحية شاهدتها.. وآخر اسطوانة سمعتها.. وآخر كتاب قرأته.. مع انطباعاتك؟

- النسر الأحمر.. وكان يمكن أن تكون أفضل "نجوى" لمحمد عبد الوهاب.. إنها من أعظم ما أبدع.. إنها أروع من عبد الوهاب القديم.. ليته يواصل.. فصوته يتجدد أبدًا، "سنوات الهوان" كتاب إبراهيم سعدة.. من أهم وأفضل الكتب التي صدرت حديثًا.

- أجهزتنا الإعلامية الآن.. من صحافة.. والإذاعة المرئية والمسموعة.. هل أصبحت في مستوى عصرها. وفي مستوى ما يحدث عندنا؟

- الإذاعة تدهورت عن المستوى الذي كانت عليه منذ ثلاثين عامًا.. التليفزيون أسوأ عشر مرات مما كان عليه وقت إنشائه.. الصحافة.. انتحرت وتلفظ أنفاسها!!

- سؤال أخير يا دكتور.. فطلبتك وتلاميذك على ما يبدو قد ضاقوا بإطالتي – معذرة يا إخوة سأتركه لكم– ثم ملاحظة لا أحب أن أكتمها عنك.. أصدرت أنت مجلة "المسرح" وجاءت مجلة جادة ذات مستوى رفيع وأسهمت في خلق ثقافة مسرحية نقدًا وإبداعًا.. كانت تنفد

بمجرد صدورها لأهميتها.. الآن نلاحظ أن مجلتك "الجديد" خفيفة.. وليست في مستوى مجلة المسرح؟

- مجلة المسرح مسألة مختلفة تمامًا.. لأنها كانت مجلة متخصصة، ومن الطبيعي أن تكون ذات وزن ثقيل لأن طبيعتها تدعو إلى هذا وتقتضيه.. "الجديد" مجلة ثقافية عامة غير متخصصة.. المه في الجديد أنها تخاطب الجميع.. مجلة للجميع.. تستهدف تقريب الأدب والثقافة من الجماهير.. وتقرير الجماهير منهما، هذه سياستي لها منذ البداية.. لأن المثقفين إذا كانوا موجودين "وهذا أمر مشكوك فيه" فهم لا يقرأون.. وفي تصوري– رغم أني لا أزعم الاشتراكية أن واجب الدولة هو أن تنشر الثقافة على مدى واسع بحيث لا تقتصر على فئة دون أخرى.. وأعتقد أن تلك كانت رسالة "الجديد" وقد نجحت فيها..

- نظرات طلبتك تقذف الغيظ وتوشك أن تنقض.. عندي ما يقال ولدى رغبة في المناقشة.. ولكن النظرات نفذ صبرها.. سلام عليكم.. شكرًا يا دكتور..

يوليو سنة ١٩٧٥

مولود قاسم

الاستشهاد.. تحت راية الإسلام!

- هذا الرجل.. مولود قاسم وزير التعليم الأصلي والشئون الدينية بالجزائر واحد من أنشط العناصر الجزائرية المثقفة.. والتي تقع على عاتقها مهمة تأكيد الانتماء الجزائري للعروبة والإسلام.. وهو يقوم بدور بالغ الأهمية في إعادة اللسان الجزائري لأصوله العربية. وهو يجمع في ثقافته في أصالة التراث وعظمته. وبين معطيات العصر وحداثته، ومن أجل هذا ووفقًا لهذا انطلقت دعوته: "لنكن أبناء عصرنا مع المحافظة على أديم مصرنا"، تعبيرًا عن الأصالة والمعاصرة، طريقًا لبناء الوطن الجزائري الجديد. وخلال انعقاد الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي "بورجلان" التقيت بمولود قاسم لأطرح عليه بعض التساؤلات التي قدم هنا إجابته عليها...

ليكن الإسلام حاضرًا على الدوام:

- قلت لمولود قاسم وزير التعليم الأصلي والشئون الدينية بالجزائر: مبادرة طيبة تلك التي تقدم عليها الجزائر كل عام لطرح قضايا الفكر الإسلامي في ملتقى عام في محاولة لاستخلاص حلول لما يواجه هذا الفكر من مشكلات.. هل تعتقدون أن هذه الملتقيات قد حققت الغرض منها.. هل أشاعت مناخًا فكريًا لمواجهتها في البلدان التي تدعي وفودها لهذا الملتقى.. أو على الأقل في الجزائر ذاتها؟

- وأجابني مولود قاسم بقوله:

بالطبع لا يمكن أن تتحقق النتائج الموجودة في التو واللحظة.. فهذا عمل متواصل يعطي ثمرته على المدى الطويل. ومع ذلك يمكننا القول بأن هذه الملتقيات بمحاضراتها ومناقشاتها ومطبوعاتها. وأجهز الإعلام التي بها قد أحدثت جوًا ثقافيًا وروحيًا، لا أبالغ عندما أزعم بأنه يبشر بالخير ويفتح آفاقًا مشرقة.. مما يشجعنا على الاستمرار والمواصلة والاستزادة من هذه الملتقيات.. إنهم هنا في الجزائر أساتذة الجامعة وطلبتها.. وشباب الثانويات المتعطش للثقافة ورجال الإعلام والصحافة يستفيدون من الآراء التي تطرح في الملتقيات، ومن الحوار الذي يجري بينهم وبين المدعوين لهذه الملتقيات من رجال الفكر الإسلامي وغيرهم من المفكرين الأجانب.. بل إننا على مستوى أجهزة الدولة الثقافية نتبنى كثيرًا من الأفكار التي يصل إليها الملتقى والتوصيات التي يختم بها أعماله.

أما خارج الجزائر من بلدان العالم الإسلامي.. وحتى من غير البلدان الإسلامية فكثيرًا ما ترتد إلينا أصداء ما يدور في هذه الملتقيات. وكل هذا يشجعنا على الاستمرار في هذه الملتقيات وتوسيع مجالاتها وتنويع محتوياتها.

إن علينا أن نجعل الفكر الإسلامي حاضرًا على الدوام ليقدم الحلول لكل ما يواجه العالم الإسلامي من مشاكل وتحديات. وهذا أفضل طريق لتحصين الأجيال ضد كل أنواع الغزو الفكري. ويعطيها الثقة فيما لديها والإيمان بقدرته للوصول إلى المستقبل.

كلمة الجهاد.. تعني الإسلام:

- قلت: وبالمناسبة نعرف أن الإسلام لعب دورًا ثوريًا حاسمًا في إنهاء الوضع الاستعماري في الجزائر. برغم كثافة هذا الاستعمار وعمق تغلغله.. ما هو الدور الذي يعلبه الآن في مسيرة الجزائر نحو المستقبل؟

- بلا جدال لعب الإسلام الدور الأساسي في إنقاذ الجزائر من السيطرة الفرنسية، بل كان المحرك الأوحد لتأكيد القومية الجزائرية في مواجهة محاولات إبادة هذه القومية.. ويكفي أن نرمز لتأكيد هذا بثلاثة أسماء كلها لمسمى واحد.. إن الكفاح التحرير كان يسمى بلسان الشعب" الجهاد" وصحيفة جبهة التحرير ثم الحكومة

المؤقتة كانت وما زالت تسمى "المجاهد" وثوار التحير والمقاتلون من أجل الحرية كانوا يسمون "المجاهدين" ولدينا الآن "وزارة قدماء المجاهدين" و"الجهاد" برغم ما يتبادر من مدلول لغوي واسع لها هي كلمة إسلامية لا يمكن أن توحي إلا بالمضمون الإسلامي الذي يقف وراءها.

- أما ما هو دور الإسلامي اليوم في الجزائر فإنه لا يقل عن دوره بالأمس.. كان في الماضي يمثل حصانتنا ضد اقتلاع الذات.. وهو اليوم يفرز لنا فعاليات هذه الحصانة ومناعتها في مواجهة كل الإيديولوجيات وتصفية كل رواسب الاستعمار وكل ما يرد إلينا من أنواع فكرية تستهدف التأثير في مقوماتنا وخصائصنا.. من أي جهة جاءت وبأي لون تسربلت. وهذا الذي أقوله لك عن الإسلام يبدو جليًا في أجهزتنا التربوية والثقافية خصوصًا في مجال التعليم.. كما يتمثل واضحًا وناصعًا في الوثائق الرسمية للدولة والحزب. ويؤكده الميثاق الوطني.. كما يؤكده دستورنا الذي صد مؤخرًا. إن الدين الرسمي لدولة الجزائر هو الإسلام. وليس هذا مجرد نص تقليدي.. إن الإسلام بالنسبة لنا أنفاس وجودنا وهواء حياتنا. وليس معنى هذا أن نتقوقع و ننغلق دون العالم والعصر. والاستفادة من التجارب الناجحة لدى الغير.. فالإسلام يحنا على السير في الأرض، واحترام تجارب الغير. لنظل راسخي الأقدام على أديمنا مستندين بالدرجة الأولى إلى حصاتنا وقيمنا العربية وارتباطنا بالأمة الإسلامية الكبرى.

كل الثورات قامت تحت علم الإسلام

- إن حماس وإخلاص الذين يديرون جهاز السلطة الوطنية في الجزائر للعروبة والإسلام يدعواننى للتساؤل عن مدى الدور الذي لعبته الثقافة الإسلامية في تشكيل مكونات هؤلاء القادة روحيًا وفكريًا؟

- لدينا هنا في الجزائر كثير من القيادات الوطنية المسئولة من الذين تشبعوا بالثقافة الإسلامية بأعمق وأوسع المعاني.. كما أن لدينا بعض اللذين أخذوا منها بنصيب وافر بدرجات متفاوتة سواء منهم الذين درسوها في معاهد وجامعات المشرق وخاصة مصر وبعض البلدان الشقيقة. وبلدان المغرب.. إن كل الثورات التي اشتعلت في الجزائر غداة الغزو.. كلها بلا استثناءات كانت تنطلق باسم الإسلام. ترفع رايته وتهتف باسمه. وتواجه الاستشهاد تحت علمه.. وإذا استعرضنا كل هذه الثورات

تأكدت لنا هذا الحقيقة، وعندما نرجع إلى الإنسكلوبيديا الفرنسية في جزءيها الخاص بالجزائر نجدهم يعترفون بهذه الحقيقة، حقيقة أن كل ثورات الجزار قامت باسم الإسلام ومن أجله. وعندما استطاعت فرنسا أن تخمد الكفاح المسلح قامت الحركة الوطنية والسياسية والإصلاحية باستيحاء أفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبد ه وشكي بأرسلان على أساس إسلامي بالدرجة الأولى.

وكانت هي التي أدت على مختلف مراحل١٩ في النهاية إلى استئناف الكفاح المسلح في نوفمبر ١٩٥٤ وان لابد أن يكون هذا الكفاح الطويل باسم الإسلامي هو صاحب التأثير الأوحد في كل الذين رفعوا السلاح ليعيدوا للجزائر استقلالها.. وليعيدوها للعروبة وللإسلام.

علينا أن ننقذ أفريقيا

- طرح في الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي مؤخرًا. موضوع الإسلام الآن في أفريقيا. ما هو المطلوب من العالم الإسلامي والعربي بالذات للحفاظ على إسلام الأفارقة وترسيخه في مواجهة عواصف فكرية تهب الآن على القارة.. وماذا تستطيع الجزائر المسلمة العربية أن تقوم به في هذه اللمجا؟

– أنت تعرف أن الوضع الجغرافي "لورجلان" التي يحتضن صدرها هذا الملتقى غير بعدي عن بلاد السودان بالمعنى الواسع كما كان ابن خلدون يطلق على إفريقيا.. ونحن نعرف أن التبشير والغزو الفكري كما كان ابن خلدون يطلق على أفريقيا.

ونحن نعرف أن التبشير والغزو الفكري في المجالات المختلفة يستعمل جميع الوسائل في بلدان أفريقيا في شمالنا الواسع من السويس حتى غرة الأطلس، فهو يركز بالدرجة الأولى على أخواننا تحت الصحراء–أفريقيا الجنوبية– وما قضية السودان ببعيدة عنا وإن لم تبرز بالشكل الإعلامي الذي يحيط بكل أبعادها.

إن أفريقيا تتعرض الآن لمحاولات التسرب بكل الأشكال القديمة والحديثة وعلى الدول الإسلامية أن تفكن لهذا وأن تمارس دورًا جديًا في حماية القارة من هذه المحاولات التي تريد النفاذ إلى أحشائها.. وإحباطها بوسائل فعالة.. علينا أن ننشط لإقامة الجامعات والمراكز الثقافية. والمدارس باللغة العربية.. والغة الأجنبية السائدة في كل منطقة والتي ورثتها عن المستعمر الذي كان يهيمن على شئونها.

وفيما يخص الجزائر فإننا بجانب ما نقدمه في المجال الاقتصادي والثقافي والتقني لبعض الدول الإفريقية في حدود إمكانياتنا المتواضعة فيمكنني أن أشير إلى بعض ما نقوم به من استقبال أعداد وفيرة من طلبة هذه الدول في مدارسنا حتى البكالوريا حيث ندرس لهم المواد باللغة العربية أولاً وباللغة الأجنبية ثانيًا.. وفي خطتنا أن نستقبل بافتتاح بعض الثانويات في التعليم الأصلي أضعاف هذه الأعداد مستقبلا.. وبافتتاح كلية الشريعة والقانون المقارن في العام القادم بإذن الله والتي ستكون نواة لجامعة إسلامية متكاملة بجانب الكليات العلمية.. سوف نتمكن من تخفيف العبء على الجامعات الإسلامية في البلدان الشقيقة لاستيعاب الأعداد المتزايدة من طلبة إفريقيا.. ولكن هذه الجهود هي دون المطلوب.. إذا أردنا أن نحصن أفريقيا بطريقة جادة..

- في مصر نتابع نحن تجربة الجزائر لتعريب محيطها.. وزارتكم تقوم بدون رائد في مجال التعريب.. ما مدى النجاح الذي حققته.. وهل هناك عقبات تواجه التجربة؟

  - هل سمعت النشيد الذي كان يردده طلبة الجزائر لحظة افتتاح الملتقى "شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب" إن انتسابنا إلى العروبة هو حقيقتنا الجوهرية الأولى.. وتعميق هذا الانتساب لابد أن يصاحبه أن تكون العروبة هي اللغة صاحب السيادة في كل المحيط الجزائري. وهناك جهود منسقة تتم على مختلف دوائر الدولة والحزب من أجل إحلال اللغة العربية.. لإعطاء الشخصية الجزائرية كل مقوماتها بدون تعصب أو تشنج، ولن انطلاقًا من كون اللغة هي المقوم الأساسي لتأكيد شخصية الأمة، أي أمة.. لقد حاول الاستعمار الفرنسي عزل الشعب الجزائري عن لغته الطبيعية.. ومن الطبيعي أن تعود للشعب الآن لغته.. وفعلاً وجد نوع من المقاومة لسياسة التعريب من بعض الذين حرمهم الوضع الاستعماري من تعلم اللغة الأم.. وهؤلاء تقدمت به السن ويعملون في جهاز الدولة. وظنوا أن سياسة التعرف تضر بمصالحهم كموظفين في جهاز الدولة التي أعلنت حتمية أن يتعلم جميع من هم في جهاز الدولة العربية.. وخصصنا لذلك بعض الساعات واحتسبناها من ساعات العمل الرسمية.. ولأن هؤلاء استخلصوا من هذا بعض التصورات الخاطئة فقد قاوموا هذه العملية الوطنية بنوع من الشك والتشاؤم والعرقلة الصامتة.. وبعضهم بدون شك كانت تحكمه العقدة الاستعمارية في تحقير اللغات الوطنية والزعم بأنها غير قارة على مجاراة العصر.

ولكن التجربة المخطط والتوعية المنظمة استطاعت أن تقنع هؤلاء وأولئك بأنهم أساءوا التقدير.

إن استتباب سياسة التعريب بشكل مذهل وإقبال الجميع على إتقان العربية يجعلنا في غاية التفاؤل بشأن نجاح سياسية التعريب.. لقد اندحرت كل الحجج التي زعمت بأن العربية غير قادرة على ملاحقة العصر وإنجازاته العملية.. لقد كانت هذه اللغة في القرون الوسطى حتى بداية النهضة هي لغة العلم في جميع أنحاء العالم.. أو على الأقل في حوض البحر الأبيض حتى حدود الشمال الأوروبي.. وتستطيع اليوم بخصائصها الذاتية أن تكون إحدى اللغات العلمية على مستوى العالم بأسره.

فبراير سنة ١٩٧٧

ثروت أباظة

عندما بدأ التلفزيون كنت لا أفارقه.. الآن لا أكاد أراه!!

تقف أعمال الكاتب المصري ثروت أباظة علامة متميزة من معالم حركتنا الأدبية في الرواية والقصة القصيرة.. وقد امتد تأثير هذه الأعمال إلى مجالات فنية أخرى غير مساحة الكلمة المقروءة فأخذت مواقعها من خريطة السينما والإذاعة والتليفزيون مرورًا بالمسرح.. وأصبحت بذلك جزءًا من نسيج قماشنا الفني بنوعياتها المختلفة.. وفي هذا الحديث يقدم لنا ثروت أباظة إجاباته عن تساؤلات طرحتها عليه.

- قلت ثروت أباظة:

بدأ تعاملك مع التليفزيون بقصة " هارب من الأيام" التي قدمتها السينما بعد ذلك.. في رأيك من منهما كان أكثر إجادة في تقديم القصة نفيًا؟

- إن شئت الحق كان المسرح أكثر توفيقًا في تقديم القصة، فقد عرضتها فرقة الإسكندرية المسرحية من إعداد أمينة الصاوي بصورة أفضل مما ظهرت به في التليفزيون أو السينما أو الإذاعة. فالأخيرة قدمتها أيضًا وأعدها الأستاذ أحمد عباس صالح لإذاعة "صوت العرب" أما المقارنة بين السينما والتليفزيون فهي مقارنة جد ظالمة لأن مدة العرض في التليفزيون تجاوزت ١٢ ساعة بينما مدة العرض على الشاشة بالسينما لم تزد ن ساعة ونصف.

- هل أنت راضي عن الأفلام السينمائية التي أخذت عن رواياتك.. وفي أي فيلم كانت السينما أكثر توفيقًا في التعبير عن وجهة نظرك كما تضمنتها الرواية؟

  - أنا لا أطالب السينما أو غيرها من وسائل الإعلام أن تظهر العمل الروائي المكتوب كما هو.. وإذا انتهينا إلى هذه النتيجة فمن الميسور أن تكون الإجابة عن سؤالك بنعم.. ولعل "شيء من الخوف" هو خير ما ظهر من أعمالي حتى الآن.. وإن كنت أتوقع للفلمين اللذين سيعرضان هذا العام وهما "لقاء هناك" و"أمواج بلا شاطئ" نفس نجاح "شيء من الخوف" لقد شاهدتهما في عرض خاص.. وشعرت بالارتياح..

- جربت كتابة الحوار لبعض الأفلام.. ما السر في أنك لم تدخل مجال السيناريو.. هل عرض عليك ذلك.

  - السيناريو في الواقع رؤية جديدة للعمل الفني.. وقطعًا ليست منفصلة ولا مغايرة، ولكنها تنطلق من زاويتها الخاصة التي تتلاقى معه، وكلنها تتميز عنه، ولذلك أصر دائمًا على وجود كاتب سيناريو معي عند تحويل أعمال إلى السينما.. إن كتابة السيناريو فن قائم بذاته لم أبدأه من أوليات حياتي، وأخشى ألآن أن أدخل مجال تجربة جديدة.. أما كتابة الحوار فهي من صميم عملي، فقد بدأت كاتبًا إذاعيًا والحوار جزء أساسي من العمل الروائي.. وهو في السينما يحدد الشكل الدرامي للفيلم وهو عمل تمرست عليه ولا أخافه.. وأصارحك بأنني أقدمت على تجربة كتابة سيناريو بمساعدة المخرج الذي زين لي هذا.. وفشلت التجربة. والحمد لله أن فشلها ظل مسطورًا على الورق فحسب..

- بعد هذا الرواج الذي يحققه الفيلم العربي.. بماذا تنصح رجال السينما حتى يستمر هذا الرواج في تصاعد يعتمد على المستوى.. فهناك محاذير من أن يتواكل رجال السينما على هذا الرواج فيتناسوا الجودة الفنية؟

  - أبغض أن أقف موقف الواعظ الذي يقدم النصيحة.. ولذلك فأنا لا أقدمها.. وإن كنت أقبلها.. ولكني أطمئنك بأن الجمهور وحده كفيل بوضع رجال السينما على الطريق الصحيح، ولا يخفيك هذا الإقبال الظاهري على الأفلام التافهة الهابطة.. فبجانب هذا الإقبال وفي ذروته تجد المنتجين يتجهون إلى كبار الكتاب لشراء أعمالهم لانتاجها وهم حين يفعلون ذلك يقدرون حقيقة أن البقاء للأصلح.. وأن الإقبال على التافه مؤقت مهما طال الأمد.

- ولكننا نجد أفلامًا تافهة الموضوع ركيكة الإخراج تجد إقبالاً... فهل معنى هذا أن الجمهوري فسد ذوقه؟

  - من التجني أن يُقال هذا.. الجمهور يجب أن يضحك وأن يهرج أحيانًا.. وهو على استعداد أن يتقبل هذه التفاهات مرة أو مرتين أو أكثر.. ولكن المنتج هو ميزان الجمهور، ولو كان على يقين من أن هذا الإقبال على التافه سوف يستمر لأعرض عن شراء قصص كبار الكتاب.. إن الجمهور أسبه بمار في طريقة سمع نكتة وقحة فضحك ثم أنصرف.. ولكنه لن يتوقف في كل مرة ليسمع نفس النكتة.. فتأكد أن الجمهور سوف ينصرف عن هذه التفاهات التي تقدم له.

الكاراتيه وأرسين لوبين:

- طيب.. ما هو تفسيرك لظاهرة إقبال الجمهور على أفلام العنف والكاراتيه.. قطعًا هناك سر وراء الظاهرة؟

  - تبقى في الإنسان غالبًا بقايا من طفولته.. عندما كنا صغارًا كانت تروقنا وتبهرنا الحركات البهلوانية وأفلام "الشجيع" و الحلقات.. وهذا في حد ذاته لا يمثل شرًا في النفس. فنحن قد نحب أن نرى على الشاشة بطلاً يضرب آخر، ولكننا في نفس الوقت لا نحب أن نكون في نفس الموقف لا ضاربين ولا مضروبين. والجمهور في السينما قد يعجب بتصرفات الشرير أو اللص ولكننا عندما نجد نفس الممثل الذي قام بدور الشرير قد أصبح رجل شرطة يطارد اللصوص ويحمي الأمن فإن تصرفاته تستدعي نفس الإعجاب من الجمهور. ولعلك تذكر أنه في نفس الفترة اليت كانت توزيع فيها رويات "ارسين لوبين" برواج رهيب كانت روايات "شرلوك هلمز" توزيع بنفس الرواج. الأول لص ذكي.. والثاني مفتش بوليس يقظ.. والجمهور في الحالتين يعجب بالذكاء والأعمال الخارقة دون نظرة جديدة على الأخلاقيات التي تقف وراء هذه الأعمال.. فالإقبال اليوم على الكاراتيه وأعمال العنف امتداد لإقبال جيلنا على حلقات اللص الشريف. والمخبر الذكي.

- تدعونا ظاهرة رواج الأفلام الميلودرامية.. و"المفبركة" إلى تساؤل. لماذا يشترى المنتج قصص كبار الكتاب بأسعار مرتفعة نسبيًا.. وهي مهما نجحت فإنها غالبًا– ودوننا شبكاك التذاكر– لا تنجح قدر النجاح الذي حققته أفلام الميلودراما والتوليفات التقليدية المعروفة؟

- الميلودراما في ذاتها غير مرفوضة.. وهناك ظاهرة أحب أن أتطرق إليها.

هناك نقاد أوجدوا أسماء وجعلوا الهجوم عليها أمرًا مسلمًا به. ومن ذلك كلمة الميلودراما.. بينما هي لا عيب فيها إذا أحسن الكاتب تقديمها والمخرج إخراجها. ومن الأسماء التي روج النقاد ضدها كذلك "الشخصية المسطحة"، بينما هي من أصلح الشخصيات لأعمال الدرامية. فالشخصيات المسطحة التي يتناول الكاتب فيها جانبًا واحدًا من الشخصية وهو أساسًا يريد لشخصيته أن تبدو من هذا الجانب وحده.. كالمصور الذي يلتقط صورة جانبية من زاوية معينة فلا أحد يستطيع أن يتهمه بالخطأ لأنه فعل هذا.. ولأضرب لك مثلاً.. شخصية "جان دارك" لقد قرأت أغلب الأعمال الأدبية التي تناولتها.. برناردشو. كاسويل إندرسون- ترجم ثروت أباظة للعربية مسرحيته عنها –جان أنوي وغيرهم- وإذا كنت أنت قد قرأت هذه الأعمال فأعتقد أنك ستوافقني على أن جان دارك بدت لنا من خلال أعمالهم شخصية مسطحة.. ومع ذلك فهي من أنجح الشخصيات الروائية.. ونفس النجاح كان لها في السينما والمسرح. فدعنا من هذه المسميات.. المهم طريقة التناول واقتدار الفنان على تصوير شخصيته من الزاوية التي يراها..

الفنان هو الأساس

- التليفزيون بعد مسيرته الطويلة نسبيًا عندنا ما هو تقويمك للمسافة التي قطعها؟ – أولاً.. عل قطع التليفزيون مسافة إلى الأمام.. أم تراه قطعها إلى الوراء.. الحقيقة أنني كنت حين بدأ التليفزيون لا أكاد أفارقه.. والحقيقة أنني الآن لا أكاد أراه.. والعجيب أن الخبرة الضخمة التي تتمثل في الإذاعة تتخلف تخلفًا واضحًا في التليفزيون. وهذا يرجع إلى أن القائمين على التليفزيون كان يعينون موظفين ليكونوا فنانين. وأنت تستطيع أن تعين شخصًا ما في أي وظيفة يريدها أو تريدها لها.. ولكنك لا تستطيع لا أنت ولا غيرك أن تصنع فنانًا.. وللأسف لم يحاول القائمون على التليفزيون البحث عن الفنانين.. وإنا نظروا في الشهادة أو الرخصة وعينوا.. وكان هذا الفشل الذي تراه..

لا بأس.. ولا بد:

- الأعمال الأدبية العالمية.. هل توافق على اقتباسها وتمصيرها.. أو لابد من تقديمها معربة مع الالتزام بالنص؟

- أوافق على الاتجاهين.. لا باس من الاقتباس.. ولا بد من الترجمة.. فالأعمال العالمية تتسم بأنها إنسانية والمحاور الأساسية التي تقوم عليها تصلح لعالم أجمع. فذا استطاع المقتبس أن يجع الخلفية مصرية دون أن يشعر المتفرج بالأصل الذي اقتبس منه فالاقتباس هنا مفيد ويثري.. أما الترجمة فلابد منها أساسًا ولكنها ستوافق الفئة المثقفة من الجماهير ويندر أن يستجيب هلا الجمهور العادي. في السينما على وجه الخصوص.

- بعد انتشار موجة الأغاني الخفيفة.. هل للأغنية ذات النفس الطويل.. والأغنية القصيدة مستقبل..؟

- أعتقد أن الأغنية القصيدة هي المستقبل لأنها في تصوري تشعر الجمهور بأنه مثقف.. يستطيع أن يتذوق كلماتها ويستجيب لها ويتجاوب معها.. أما الأغنية الطويلة فأعتقد أنه لا سبيل لها أن تعيش بعد وفاة أم كلثوم ولا داعي أن تعيش..

أوبريت مجنون ليلى:

- وبالمناسبة.. من هي المطربة التي ترى في وصتها خصائص ملائمة لأغنية القصيدة الشعرية..؟

- فايزة أحمد.. ونجاة. وبالمناسبة أتمنى أن يلحن الأستاذ الكبير محمد عبد الوهاب "أوبريت مجنون ليلى" ليغنيه عبد الحليم حافظ مع نجاة.. فهذا هو العمل الجدير به والكفيل بأن يكتب له الخلود المؤكد.

- ما هي الأسماء الجديد التي لفتت نظرك في مجال السينما؟

- من كتاب السيناريو أحمد عبد الوهاب ومصطفى بركات ورأفت الميهي ومصطف محرم.. ومن كتاب الحوار لم يلفتني أحد. الحوار الذي سمعته مجرد جمل تقليدية محفوظ تكاد تكون على الماقس بدون أن ينم منها ما يكشف أبعاد الشخصية أو يكشف العمل الدرامي.. حتى النكتة أجدها مصنوعة غير متدفقة.. وفي المونتاج لا أحد يستطيع في رأي أن يقف مع سعيد الشيخ.. وفي الإخراج اشرف فهمي وعلى عبد الخالق ولم اشهد للأستاذ سعيد مرزوق فيلمه الأخير وأرجو أن يكون قد نحا فيه إلى شيء من الاقتراب من الجمهور وفي التمثيل بوسي أعجبتني.. وقد سمعت عن

حياة قنديل كلامًا طيبًا.. وهناك ممثل سامه حسن عبد الحميد رايته في التلفزيون.. وأتمنى أن يمثل لي شيئًا في السينما..

- ما هو توقعك لمستقبل السينما.. هل يمكن أن يقضي عليها التلفزيون ذات يوم.. وأنا هنا أتحدث عن السينما عالميًا وكذلك التليفزيون فرأيك الذي ذكرته هنا من قبل في التليفزيون المصري بالتأكيد لا ينطبق على التليفزيون عالميًا؟

  - بدو شك كان للتلفزيون تأثيره في السينما عالميًا ولعلك تدرك هذا من إفلاس شركات الإنتاج التي كانت قوية في أمريكا، ولكني أعتقد أن أثره قد انتهى إلى هذا الحد ولم تعد أمامه مساحة ليكسبها.. وربما انتهى به الأمر إلى التراجع بدلاً من الامتداد، وتعود السينما إلى مكانتها فالتلفزيون أخذ زهوته و راحت عنه جدته، وبقيت السينما واعتقد أنه ستبقى. والدليل على ذلك أن السينما لا تستطيع أن تقضي على المسرح وتستخرج شهادة وفاته كما ظن البعض حين ظهورها.. ولكل فن مقوماته التي لا يمكن أن تغني من مقومات الفن الآخر.. والجماهير تستطيع أن تستوعب كل الفنون الموجودة وأكثر منها عندما توجد.

- الرقابة السينائية ما هو موقفك منها هل ترى أن تبقى أو تحبذ إلغاءها؟

  - لابد أن توجد.. وهي موجودة في كل الدنيا.. بشرط ألا يكون الرقيب كاتبًا للسيناريو أو محاولاً لذلك.. وألا يكون للرقابة حق الحكم على جودة الفيلم أو عدم جودته، لأن هذا الحق ملك للمنتج وللجمهور وحدهما..

- في هذه الحالة ما ذا يبقى لها؟

  - يبقى لها فحسن أن تمنع الفحش البالغ.. هذا مجرد دورها..

عباءة الرسول يجلس فوقها الشعراء:

- عندما يشترون منك قصة لإنتاجها سينمائيًا.. هل تكون لك علاقة بها عند التنفيذ؟

  - إذا لم يتفق معي على كتابة الحوار لها.. ينتهي دور ي عند كتابة العقد ولو أنني أصر دائمًا على كتابة الحوار..

- رواياتك الأدبية تقف خلفها وتتأكد من خلالها رؤية سياسية تتخفى خلف الأشخاص والأحداث، إن وافقتني على هذا أسألك.. هل فطنت السينما في الأفلام التي أخذت عن

رواياتك إلى هذه الخلفية السياسية أم أنها اعتمدت على الموضوعات الاجتماعية فيها ليس إلا؟

- إن كتابتي لحوار هذه الأفلام جعلت المفاهيم المتخفية وراء العمل موجودة بحيث يصبح من الصعب بمكان ألا يتنبه الجمهور لها.. فإذا لم يتنبه فحسبه أنه رأى قصة أمدته بشيء من المتعة خلال فترة المشاهدة.

- أخذت السينما قصصًا من توفيق الحكيم ومحمود تيمور ويوسف السباعي ونجيب محفظو وإحسان عبد القدوس وعبد الحميد السحار وعبد الحليم عبد الله وأمين يوسف غراب وثروت أباظة وغيرهم من الكبار بجانب بعض أعمال الأدباء الشبان فهل استطاعت الرواية الأدبية أن تشكل قوة ضغط على السينما المصرية للارتفاع بمستواها؟

- أعتقد أنها- وخاصة في الفترة الأخيرة- قد شكلت فعلاً هذه القوة الضاغطة. ونجاح أغلب الأفلام التي أخذت من أعمال من ذكرت جعل الاعتماد على الأعمال الأدبية يضمن للمنتج نسبة مؤكدة من توقع النجاح.

- مسرحية عبد الرحمن الشرقاوي "ثأرالله" – "الحسين ثائرًا والحسين شهيدًا" ومازال هناك اعتراض على ظهورها فوق المسرح. هل هناك سند شرعي تعتمد عليه وجهة النظر المعارضة لظهور الشخصيات الدينية على المسرح؟

- السند الشرعي كما تعلمناه في القانون أن يرد ذلك في القرآن الكريم أو السنة الشريفة، والذي لا شك فيه أن القرآن الكريم لم يمنع هذا. والذي أعرفه أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يكرم الشعراء. وكان يفرض عباءته الطاهرة ليجلس عليها المجيد منهم. وكن يقول للخنساء حين تنشده شعرًا "هيه يا خنساء" فإذا أخذ أساتذتنا المشايخ بالقياس وهو من مصادر التشريع فإن عليهم أن يكرموا الشعراء.. وإكرامه يكون بإتاحة السبيل له أن يلتقي بالناس.. وإذا كان هذا الشعر ينظر إلى الدين ويعلى من شأنه ويكرم الصحابة الأقربين من رسول الله فهو ألوى بالوصول للناس. وقد تجد الرواية الفنية من الرواج والانتشار وقد تملك من التاثير مالا تحققه ألوف الخطب والمواعظ.

السينما لا تحتمل الفشل مرتين:

- ما هي الضوابط المفروض أن نضعها أما من يدخل ميدان الإنتاج السينمائي.. هل نسمح لكل من عنده الفلوس أن يدخل الميدان.. أم لابد من حماية المهنة من الدخلاء عليها؟

  - من أراد أن يدخل فليدخل.. وكل إنسان حرب فيما لديه.. أم المتطفلون والدخلاء فسوف تكون التجربة خير مؤدب لهم.. وسوف يقلعون عند الفشل الأول لأن الخسارة في السينما لا تتمل الفشل مرتين.

- ما موقفك من رأي ينادي بضرورة عودة القطاع العام إلى ميدان الإنتاج.. ومن رأي آخر ينادي بترك المجال للقطاع الخاص وحده؟

  - سيأتي قريبًا الوقت الذي يستطيع فيه القطاع الخاص أن يقف على قدميه بعد وهن طويل، وحتى يأتي هذا الوقت فعلى الهيئة العامة للسينما ألا تبتعد عن مجال الإنتاج ولتقصر إنتاجها على الأعمال الضخمة التي يعجز القطاع الخاص عن القيام بها.. بحيث لا يتجاوز هذا فيلمًا واحدًا في العام مثلاً.

- قلت لثروت أباظة في النهاية:

هناك أفلام إسرائيلية تعرض في عواصم الغرب تحاول من خلال قصص قد تبدو بعيدة عن السياسة المباشرة إيهام الرأي العام بأحقية الوجود الإسرائيلي في أرض فلسطين، ومن هنا يأتي دور الفن عندما يكون ذكيًا.. لدينا قضية عادلة هي قضية أرض الشعب الفلسطينية المغتصبة.. لمذا لا تقدم السينما عندنا على بلورتها للعالم؟

  - ينسى الكثيرون أنه ليس هناك شيء اسمه الفكر الإسرائيلي أو الثقافة الإسرائيلية.. إسرائيل في نشأتها وبمكوناتها عبارة عن جميع الدول الغربية بثقافتها وتفكيرها وتراثها الحضاري. ولهذا فاللغة بين إسرائيل وبين هذه الأمم مشتركة الأمر الذي لا يتاح لنا.. وإن كان علينا بواسطة ما أحرزناه من تعاطف معنا وتفهم لموقفنا في الفترة الأخيرة أن نحاول النفاذ بذكاء إلى قلب العالم حولنا لاكتساب المشاعر المتعاطفة مع قضيتنا.. وأتمنى أن تجد السينما سبيلاً إلى لغة مشتركة بيننا وبين العالم لتوصيل قضايانا لا من خلال الخطب و الزعيق وإنما بواسطة موضوعات إنسانية تعتمد على الإيحاء والدلالة.

- تحقيقًا لهذا ما رأيك في فكرة تكوين شركة إنتاج عربية ذات رأس مال ضخم تسهم فيه جميع الحكومات العربية لإنتاج أفلام عالمية تصنع لغة مشتركة بيننا وبين العالم لخدمة قضايانا الوطنية؟

  - تلك فكرة مستحبة ومطلوبة ولا أحد يرفضها.. ليتها تتكون هذه الشركة.. ولكن علينا أن نضع في الاعتبار أن نعتمد على أفلام إنسانية من خلالها ننفذ بقضايانا.. وأن تكون الأفلام أيضًا تاريخية جذابة. وفي هذه الحالة فالنفع الذ١ي يرجى منها مؤكد.. أما إذا اتجهت إلى الدعاية فلن يقبل جمهور العالم عليها. لأن الجمهور لا يسعى إلى الدعاية وإنما هي تسعى إليه.. وجمهور السينما يستهدف بالذهاب إليها أن يتسلى لا أن يتعلم، فإذا كنت ذكيًا وفنانًا ودسست له الفكر في طوايا التسلية تكون بلغت منه ما تريد.

سعد مكاوي

لا يمكن للنقد المنحرف أو المغرض.. أن يوقف الفنان الحقيقي

منذ أواخر الأربعينيات ومسيرة الفنان الأديب "سعد مكاوي" تنطلق متواصلة في درب حياتنا الأدبية.. فقد قدم لنا كثيرًا من المجموعات القصصية التي أسهمت بدور بالغ الأهمية في تأصيل فن القصة القصيرة عندنا.. كما أعطانا ثلاث روايات تعتبر من أهم إنجازات الرواية العربية الحديثة.. بجانب ترجماته المتعددة والمتباينة.. لروائع من الأدب العالم.. وهو الآن يطرق عالم المسرح بمسرحية فرغ منها هي "الميت والحي" وأخرى يعكف على كتابتها باسم "المهدي المنتظر".

وبرغم دوره البالغ الأهمية في حياتنا الأدبية حتى أن كاتبًا كبيرًا من أعلام حركتنا الأدبية المتطورة وهي الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي لا يجد غضاضة في الاعتراف بأنه تتلمذ على يد سعد مكاوي وأنه كان يكتب على نسقه في بداية حياته الأدبية أنه هنو الذي قاد خطواته إلى تشيكوف وجوركي ودستويفسكي.. وبرغم هذا فإن النقد لم يعط هذا الفنان حقه من الأهمية التي تعادل أهمية إنتاجه.. ولم يبدأ الاهتمام النقدي به إلا مؤخرًا.

وقد التقيت بفناننا الكبير سعد مكاوي في محاولة للاقتراب من عالمه ومعرفة رأيه في مسائل تتعلق به وبجوانب من حياتنا الفنية.

- قلت للأديب الفنان سعد مكاوي.

سؤال يحيرني منذ أمد طويل. لا أح ينكر قيمة ما قدمه سعد مكاوى من عطاء يتسم بالمعمار الفني المقتدر والإنسانية الدافقة والنفاذ داخل أغوار النفس البشرية بكل ما تنطوي عليه من معالم ومجاهل. ولقد كنت بحق- أقولها صادقًا مع نفسي وبضمير قارئ متابع يشارك في الحياة الأدبية- كنت مذاقًا له خصوصيته المنفردة في أدبنا.. فلماذا لم تأخذ أعمالك من الاهتمام النقدي ما يعادل تقدير المتلقي لها؟

- سؤالك كان المفروض فيه أن يوجه للنقاد أصلاً.. ولكن كل ما في الأمر أن الحركة الأدبية عندما وقعت تحت سيطرة اتجاهات نقدية انطلقت من موقع الشللية العنيفة وافتقدت الرحابة الواسعة في نظرتها إلى خريطة الحياة الأدبية.. ووجدت هذه النظر أن من مصلحتها توافقًا مع أهدافها أن تركز على أسماء بذاتها وأن تتجاهل غيرها.. بجانب عامل آخر صاحب عدم انتمائي إلى شلة معينة. هو عدم انتمائي أيضًا إلى مدرسة فنية محدودة. فقد لازمني على الدوام اعتقاد بأن الفن صيرورة دائمة. وإمكانات متجددة من الخطر حبسها داخل أسوار تقنين مدرسة ما.

- هذا التجاهل من النقد.. ألم يضايقك.. أما شعرت من جرائه بمرارة؟ - أغالط نفسي لو زعمت بأن هذا لم يضايقني.. كل ما في الأمر أنني تخلصت من هذا الإحساس ولم أدع له سيطرة على.. لم أضع في اعتباري غير أن أواصل مسيرتي.. فلا يمكن لأي حركة نقدية أو منحرفة أو مغرضة أو منغلقة أو متعصبة أن توقف عملية الإبداع عند أي فنان حقيقي.. إن مسألة النقد لم تعد تهمني إطلاقًا.. مهمتي هي فني.. وما بعد ذلك فهو مسألة لا تخصنّي!!

- بجانب طبيعيت الخاصة العازفة عن صخب التجمعات. هناك إيماني بأن من الأفضل للكاتب أن يواقع الحياة نفسها ليستمد أصول إنتاجه الأدبي. هذا أفضل من أن يكون واسطة عقد منتدى أدبي أو في تجمعات تقوم على ثرثرة غير مفيدة وصراعات غير مجدية لا للكاتب ولا للحركة الأدبية.. الأهم هو الحياة نفسها.. الناس. الاقع.. العصر.. بقضاياه وهمومه خلال المسيرة الإنسانية الباحثة عما هو أفضل وأجدى للحياة واستمرارها.

- لكل فنان رؤية معينة تقف خلف إنتاجه حتى وإن توارث خلف البناء الفني المقتدر بدون أن تكون مباشرة بالضرورة.. بالنسبة لك ما هي الرؤية التي يمكن أن تكون مفتاحًا لأعمالك؟

- باختصار.. وفي كلمة واحدة.. الإنسان هو موضوعي.. المسيرة البشرية هي الحقيقة الأولى والأخيرة التي تنبع منها رؤية كل فنان.. والدب الحي في أي عصر وفي كل أمة هو الأدب الذي نفعل بالإنسان وبالحمية التي تصاحب البشرية وهي تبحث عن

المستقبل الأفضل.. ومن هنا تنبع رؤيتي بدون الدخول في تفاصيل تحديد قسمات لا أحب أن تطل النظرة إلى أعمالي من خلالها!!

- لن أسألك تحديد معالم هذه الرؤية، فالعمل الفني هو إمكانياته الداخلية الموحية. ولكن ما هي الأعمال التي تبلورت فيها هذه الرؤية فنيًا أكثر من غيرها من أعمالك؟

  - لا أستطيع أن أفضل أي عمل من أعمالي عما تحدثت عنه في الإجابة السابقة. ولكن ربما تكون رواية "السائرون نيامًا" وكذلك "الرجل والطريق" قد تمكننا من تكثيف هذه الرؤية. بإمكانيات فنية أكثر قدرة على توصيل رؤيتي.

- في كتابتك تمديد للإنسان وحنو عليه، وحلم بإنسان أفضل. يحقق المعنى الحقيقي لكلمة إنسان. هل مازلت تؤمن بإمكانيات وجود هذا الإنسان برغم ما يبدو على عصرنا من نزوع إلى الشر والقسوة والأنانية.. حتى أن قسمات الإنسان بالمعنى البسيط توشك أن تتداعى تحت ضغط ظواهر العصر المادية كما تزعم نظرة متشائمة في الغرب الأوروبي؟

  - في قلب عصرنا.. عصر التمزق والانسحاق.. والحيرة لا يزال إيماني بغد إنساني جميل غض بل إن الواقع المرير الذي يكابده الجنس البشري في عنق الزجاجة لم يؤثر في إيماني بأن إنسان العصر القادم سيكون أبهى وأعظم وأجمل من المسودات البشرية إن جاز هذا التعبير.. وإذا اعتبرنا القرن العشرين معمل تفريخ لطبقات جديدة راقية من الإنسان فإن موقن تمامًا بأن إنسان القرن الحادي والعشرين وما بعده سيكون على الصورة التي استشرفها؟

- أعرف فرط شغفك بالموسيقى.. لدرجة أن العبارة عندك تأتينا مكثفة تحمل إيقاعًا موسيقيًا في تكوينها. ما هو تأثير الموسيقي في أدبك؟

  - تعرفت إلى الموسيقى الرفيعة في صدر شبابي عندما التحقت بعد الدراسة الثانوية بجامعة السربون في باريس.. كانت نقلة رهيبة من ميوعة تأوهات الغناء الشرقي ومن المعان الفجة في الكلمة واللحن عندنا إلى الموسيقى الحقيقية النابع من كيان الإنسان ولغة الطبيعة وإيقاع الحياة.. وكان ببتهوفن بالذات له تأثيره الفعال في نفسيتي.. وفي إحساسي بجمال اللغة الموسيقية وفي تكوين رأي خاص عندي مؤداه أن الجملة الأدبية أيضًا يسعها إلى حد كبير أن تصنع موسيقيتها الخاصة.. وأن تزيدها الموسيقية قدرة على النفاذ إلى المتلقي وتدعيم العلاقة الحميمة بين الكاتب والقارئ!!

- برغم عالمية اللغة الموسيقية. هل يمكننا أن نقول إن لنا موسيقى تحمل ملامح شخصيتنا العربية؟

– لا يا صديقي.. أقولها بملء فمي!!

- أغلب كتاب جيلك وجدت أعمالهم القصصية طريقها إلى السينما فلماذا قرعت السينما بابك متأخرة.. ليس غير شهيرة؟

– منذ عشر سنوات تعاقدت معي هيئة السينما على إنتاج رواية "السائرون نيامًا. وقبضت الثمن فعلاً.. ثم عدلت هيئة السينما عن الإنتاج الكبير اكتفاء بتمويل أفلام صغار المنتجين.. ونامت الرواية في أدراج هيئة السينما مع غيرها.. ولا أمل في إنتاج القصة إلا إذا عادت هيئة السينما إلى المنهج السليم للإنتاج. وهو أن تقوم الدولة فعلاً بإنتاج الأعمال الضخمة التي يحجم القطاع الخاص عن اقتحام ميدانها.

ولعل السبب في أن السينما لم تقرع بابي كما تقول إن لي هنا طريقة لا تعجب بالمنتجين فّي، هي التدقيق في الصورة التي يظهر بها الفيلم أكثر من حرصي على المبلغ الذي يدخل جيبي برغم حبي للنقود مثل كل الناس.. ولكن حبي للنقود لا يكون له الاعتبار الأول قبل القيم الفنية. ودعني أذكرك أن لي قصة أنتجتها السينما منذ عشر سنوات وعرضت فيمًا هو "أبواب الليل"!

- "شهيرة" الفيلم المأخوذ عن قصتك– بعيدًا عما أثير بشأنها قضائيًا عن طريق الدعوى التي رفعت السيدة فاطمة رشيد ضدك هل استقيت مادتها من نموذج حقيقي في حياتنا الفنية؟

– ما قصدته برواية شهيرة نابع في الحقيقة من فترة في شبابي عشقت شارع عماد الدين الذي كان في الثلاثينيات يموج بالنشاطات الفنية والمسرحية.. ومن هذا العالم خرجت شخصيات وأحداث "شهيرة" دون تعمد لتصوير شخصية معينة. كل ما في الأمر هو الجو وهو التاريخ وعطر تلك الفترة العجيبة التي كانت فيها القاهرة تشغى بنشاطات متعددة متنوعة.. إن يكن المسرح أبرزها فقد كان حتى للكباريه طعم ومذاق ولا وجود لهما الآن!!

الكتابة للمسرح.. هل لك تجربة فيها.

– لم أكتب طيلة حياتي غير مسرحية واحدة هي (الميت والحي) والتي سيعرضها المسرح القومي هذا الشهر ويقوم بتمثيلها حمدي غيث وأمينة رزق وعبد الرحيم الزرقاني وعبد المنعم إبراهيم وسعيد خليل وغيرهم!

- ما الذي تريد أن تقوله في هذه المسرحية.. ولماذا اخترت المسرح دون شكلك الروائي المعتاد؟

  - الذي فرض الشكل المسرحي في موضوع (الميت والحي) هو مضمونها.. فعندما تبلورت الفكرة عندي اتضح لي عند اكتمالها أن الشكل المسرحي هو أنسب الأشكال لتوصيلها.. فقررت أن يكون العمل مسرحية لا رواية.. ويبدو أن المسألة كبرت في دماغي ووجدتني أعكف على كتابة مسرحية جديدة هي "المهدي المنتظر" أما عن الذي تريد أن تقوله مسرحية "الميت والحي" فإنها تناقش قضية بالغة الخطورة بالنسبة لعصرنا.

  - "العلم لمن.. هو لخدمة الإنسان وتطوير واقعه وإسعاده.. أو هو لاستغلاله ضد سعادة الإنسان ومصالحه الكبرى.. تلك هي قضية هذه المسرحية..

- مفهوم الالتزام عندك هل يختلف عن مفهوم الالتزام الذي دعا إليها النقاد في الخمسينيات وبعض كتابها أيضًا؟

  - التزامي كما هو وكما حدثتك عنه نابع من إيماني الإنساني.. أنا ملتزم بالقضية الإنسانية في عمومها وشمولها.. وشعاري في هذا أنني مع الحقيقة ضد الزيف. مع الحرية ضد الاستبداد. مع الشجاعة ضد الخوف. مع الإرادة ضد القهر. مع الجمال ضد القبح مع الحب ضد الكراهية.. التزامي في كلمة واحدة هو مستقبل الإنسان وقدراته المتجددة التي لا يمكن لأي أيديولوجية معاصرة أن تحتويها، فمن الذي يعطينا الحق في أن نصادر المستقبل ونحجر على إمكاناته وما تنطوي عليه صيرورته من قابليات.

- قبل أن يبدأ الفنان تجربته مع الخلق تكون هناك بجانب الموهبة الخاصة مؤثرات كونته ودفعت خطواته نحو هذا الاتجاه.. ما هي هذه المؤثرات عندك.. ولمن تدين من الكتاب في بلورة حسك الفني؟

  - في صباي عثرت في مكتبة والدي بالريف على عالم سحري عجيب يحوي أفكار التراث وأحداث التاريخ.. التهمت هذه المكتبة برغم أن بعضها كان أكبر من إدراكي ومنسوب ثقافتي في تلك المرحلة.. ولهذه المكتبة أنا أدين بتحديد خطواتي في الاتجاه إلى التعبير أدبًا.. ثم انفتحت لي بسفري إلى فرنسا في سن مبكرة أبواب الأدب الفرنسي أساسًا ثم الأدب الإنجليزي والألماني المترجم إلى الفرنسية، وتمازجت مكتسباتي الجديدة بثقافتي العربية في تكوين شخصيتي الفنية بجانب هذا كان الكون

الكبير العجيب يسهم في تكويني.. وحتى في مطالعاتي لا أقصر اهتمامي على الجوانب الأدبية والفنية فحسب.. أنا أدمن أيضًا القراءة في العلوم بشتى أنواعها.. خاصة ما يتعلق بعالم النبات والحيوان.. لقد قرأت ثمانية كتب عن عالم الفراشات وحده.. هل تتصور.. هناك في عالمنا ستة عشر ألفًا وخمسمائة نوع من الفراشات.. تتفاوت في الأحجام والألوان والطبائع أما عن الذين أدين لهم من الكتاب.. فأنا لا اذكر أحدًا بعينه ترك بصمات فيّ.. لقد قرأت كثيرًا.. وتحولت القراءة إلى دم في شرايين وجداني ولكني لا استطيع تحديد فصائل هذا الدم لأردها إلى كتاب بعينهم!!

- بعيدًا عن موقعك الرسمي كمسئول عن المسرح الآن.. مسرحنا ما هو الآن وضعه؟

- لعل ما يحدث في المسرح الآن من محاولات ينبئ بمرحلة جديدة للمسرح المصري تتوفر له فيها القدرة على أداء رسالته الحقيقية.. وأظن أن بدايات الموسم الحالي تبشر بذلك!!

- طيب.. أنت من خلال تجربتك الرسمية كمشرف على قطاع المسرح.. ما الذي تراه كفيلا بدفع انطلاقه المسرح في بلادنا نحو آفاق أرحب؟

- في اعتقادي أن مشروع البيوت المستقلة الذي يجتاز الآن آخر مراحله في مجلس الوزراء.. والذي ينطوي على اتجاه استقلال كل بيت مسرحي في شئونه الفنية والإدارية والمالية بعيدًا عن تدخلات المركزية وتعقيداتها.. إن المركزية الآن تفسح المجال لاستقلالية كل بيت على حده.. وأنا متفائل بهذا المشروع وأعتبره الخطوة السليمة في الاتجاه الصحيح.. وأتوقع لهذا المشروع نتائج محمودة تدفع الحركة المسرحية في بلادنا نحو ما ينبغي أن يكون عليه المسرح.

يناير سنة ١٩٧٦

دكتور محمد الظواهري

العلم يؤكد بأن عصر الإيمان المطلق قادم!!

الدكتور محمد الظواهر أستاذ طب الأمراض الجلدية بجامعة القاهرة خرجت شهرته العلمية للعالم شرقًا وغربًا، فأبحاثه ومؤلفاته في الأمراض الجلدية تدرس في كثير من جامعات القارات الخمس.. إن إضافته العلمية وأبحاثه الطبية المتعددة واكتشافاته المتواصلة تشكل أوسمة فخر لمصر، وهي في نفس الوقت تأكيد للعبقرية العربية التي غابت طويلاً عن التأثير في مسيرة الحضارة الإنسانية والعلوم.

- قلت للدكتور الظواهري:

ظاهرة التزاحم على عيادات مشاهير الأطباء.. كيف يمكن أن نجد حلولاً لما يترتب عليها من حرمان حالات مرضية عاجلة من كفاية هؤلاء الأطباء بالسرعة الناجزة؟

- ظاهرة التزاحم لها دوافعها. فالمورد العذب كثير الزحام. ثم إن رضاء الخلق من رضاء الخالق. إن سبب هذا التزاحم مرجعه أن هؤلاء الأطباء يؤدون عملهم بأمانة وإخلاص، واتقى كل منهم ربه بمخافة وإيمان فاطمأن الناس إليهم.. والحل لهذا التزاحم هو أنني أدعو كل من آتاه الله الحكمة ومكنه من خدمة المرضى أن يضاعف مجهوده ولا يتواني عن رعاية مرضاه الذين هرعوا إليه دون غيره وأن يلقاهم بالصدر الرحب والابتسامة الحانية التي تبعث فيهم الأمل. ما دام الله قد أعطاه الصحة وقدرة الاحتمال.

- هناك حالات لا تشكل خطورة، ويكفي لعلاجها أي طبيب متخصص، ولكن لأن أصحابها من ذوي الدخول القادرة يبادرون إلى المشاهير. بما ينتهب وقتهم. لماذا لا تضم عيادات هؤلاء بعض الأطباء المساعدين للكشف المبدئي؟

- لعلك لا تنكر أن العامل النفسي يساعد كثيرًا في سرعة الشفاء. وثقة المريض في طبيب معين لها تأثيرها في تنشيط هذا العامل. وأحب أن أقول بأن هناك أمراضاً تبدو بسيطة. ولكنها كثيرًا ما تكون علامات لمرض خطير أو خبيث. وأضرب بعض الأمثلة في ذلك الأمراض الجلدية. فالإرتيكاريا مثلاً هي عرض لحالات كثيرة ومتعددة، وقد تكون تافهة مثل تناول بعض الأطعمة. وربما تكون إشارة إلى أمراض داخلية هامة، وقد يكون من بينها بعض الأمراض الخبيثة.. وخذ أيضًا الحكة الجلدية، إنها هي الأخرى ترجع إلى مسببات منها البسيط مثل جفاف الجلد وتقدم السن. ومنها الخطير مثل مرض البول السكري،أمراض الكلي والكبد والمرارة واليرقان وأمراض الدم.. إلخ.

وهناك الكثير من الأمراض الجلدية التي قد تخفى وراءها الأورام السرطانية الكامنة بالجسم داخليًا.. وكل هذا يمكن للطبيب الخبير المختص أن يكتشفها مبكرًا يعالجها قبل استفحال الخطر.

أما أن تضم عيادات كبار الأطباء بعض المساعدين فهذا مالا أوافق عليه.. فالمريض قد جاء خصيصًا وتكبد مشقة الانتقال من بلدته وربما من دولة أخرى وهو يقصد طبيبًا معينًا فإذا فرض عليه طبيب آخر فإن هذا يؤلم نفسه.. وكما قلت فإن الحالة النفسية للمريض والثقة في طبيبه لها الأثر الكبير في سرعة الشفاء. وإيمانًا مني بهذا فإنني عندما أسافر لحضور الاجتماعات العلمية والمؤتمرات الطبية أغلق عيادات ولا أنيب أحدًا عني.. حتى لا أفرض على المريض طبيبًا من قبلي.. وأترك له الحرية في اختيار الطبيب الذي يريده.. وأحب أن أنوه بالنسبة لي بأن غالبية المرضى الذين يتوجهون لعيادتي يفدون إليها من قبل أطباء آخرين من أماكن بعضها بعيد المسافة والبعض منهم من خارج مصر.. وذلك للمشاركة في الرأي. وخاصة بعد الحالات الهامة.

- إن من حق الطبيب البارع الناجح أن ينال جزاء كفايته.. ولكن هناك الفقراء أصحاب الحالات بالغة الخطورة. وهم لا يملكون الاقتدار المادي. أليس من حقهم الاستفادة بكفاءة الكبار؟!

- لا أحد ينكر أن إخواننا الفقراء من المرضى لهم حق واجب علينا.. وأعتقد أنه لا يمكن أن يوجد طبيب يقدر شرف مهنته يرفض علاج مريض لفقره.. إنه يقوم بفحصه في عيادته الخاصة إن سمحت ظروف الوقت. أو في المستشفى الذي يعمل به. وجميع من يقوم بفحصهم الطبيب في المستشفيات العامة والجامعية، فهذا يتم كما يعرف الجميع – بدون مقابل.. وأنا أقوم بهاذ العمل الإنساني منذ عام ١٩٤٢

وحتى الآن بعيادة الأمراض الجلدية بقصر العيني بقسم الجلد دون انقطاع. أفعل هذا بمنتهى الرضا والسعادة النفسية البالغة.. إن الساعات الطويلة التي أنفقها في هذا العمل على مدى أيام الأسبوع هي أهم مصادر السعادة لنفسي.. فهؤلاء الفقراء ضيوفنا وضيوف الله عز وجل.

- لك مدرسة في الأمراض الجلدية معترف بها عالميًا.. ما هي خصائص تلك المدرسة؟!

- من توفيق الله. ومما يشرفني أن مدرستي في الأمراض الجلدية تضم غالبية الزملاء من أخصائيي الأمراض الجلدية في مصر والبلاد العربية.. بل هناك في دول أخرى من ينتمون إلى هذه المدرسة من الذين تشرفت بلقائهم والعمل معهم على مدى ثلث قرن في رحاب العلم. وهم الآن يبلغون العشرات بل قل المئات فلا مبالغة... وهم أخصائيون يشار إليه بالبنان.. والكثيرون منهم درسوا الكتب التي وضعتها لطلاب الدراسات العليا وكلية الطب. كذلك أبحاثي التي نشرتها وهي بجانب كتبي الخمسة تربو على المائة والعشرين بحثًا. وأكثر ما أعتز به عشرة بحوث كاملة ألقيت ونشرت في مؤتمر الأمراض الجلدية العالمي الذي عقد مؤخرًا.. وهي تمثل أكبر عدد من البحوث تنشر لعالم واحد في مؤتمر واحد.. وكلها بحوث جديدة تضمنت إضافات علمية هامة.. وقد ترجمتها في كتيب صغير الحجم فرح به كل أستاذ أرسلته إليه في مصر وخارجها.. إنني دائم التوجيه لطلابي بأن دراسة الأمراض الجلدية لا يمكن أن تون نظرية بحتة. بل لابد من مواجهة المرض على الطبيعة وفحص خصائصه قبل تلقي نظرياته.. إن المحاضرة في أمراض الجلد يتحتم أن تكون إكلينيكية قبل كل شيء.. ولهذا لابد من متابعة حالات الأمراض الجلدية وخاصة الصعبة التشخيص والعلاج.. هذه المتابعة والمثابرة والتروى تؤدي إلى أفضل النتائج، إن التشخيص المتسرع للمرض دون روية يكون مجلبة للحسرة والضرر.

مدرستي أيضًا تؤكد بأن العلم ليس له حدود، وآفة العلم أن نكتفي بما حصلنا عليه بغير أن نواصل الإطلاع والبحث.. نحن طلاب دائمًا مهما كبرت مراكزنا.. أو تقدمت بنا الأعمار!

- هل تختلف الأمراض الجلدية في المناطق الحارة عنها في المناطق الباردة؟!

- بالطبع هناك أمراض جلدية كثيرة خاصة بالناطق الحارة.. وأيضًا هناك أمراض جلدية كثيرة خاصة بالمناطق الباردة. والمشترك بينهما كثير جدًا أيضًا.. إن في بلادنا العربية ثلاثة أنواع من الأمراض الجلدية.

الأول: تنفرد بـه بلادنـا العربيـة مثل بلهارسيا الجلد. والقرحـة الشرقية "حبـة بغداد ودمل حلب" ودودة المدينة وداء الفيل العربي. وكثير غير ذلك.

الثاني: أمراض جلدية توجد في شتى أنحاء العالم ولكنها في بلادنا العربية تظهر وبها بعض الاختلافات قلت أو كثرت مثل الاختلاف في الصورة الإكلينيكية أو في التوزيع على سطح الجلد. وقد أشرت في كثر من أبحاثي إلى هذه الفروق التي تعتبر هامة سواء في التشخيص أو العلاج، واضرب لك بعض الأمثل: مرض الجذام منتشر إلى حد كبير بيننا ويقال في بعض المراجع إن ظهوره أولاً في وادي النيل وخاصة منطقة "دارفور" ثم صعد إلى شمال إفريقيا مع مجرى النيل وانتقل إلى آسيا عبر البحر الأحمر، ثم إلى الهند والصين واليابان شمالاً.. ثم إلى آسيا الصغرى فأوروبا، ولكنه حوصر، ويكاد يكون قد استؤصل في أوربا. ولكنه لبث في الهند وبعض البلاد العربية بصورة مستوطنة.. ولقد أثبت وجود الجذام في أطفالنا بخلال السائد في العالم.. وكذلك أميبيا الجلد. والصدفية والبهاق على الأماكن المكشوفة.. وكثرًا ما يذكر أن الصدفية تكثر في الأماكن المغطاة. وكني أثبت وجودها على الأماكن المكشوفة، وكذلك أثبت وجودها بالأغشية المخاطية واللسان، وفي هذه الناحية فإن الأبحاث التي قدمتها تعتبر هي الأولى من نوعها تكاملاً.. فقد كان من المفروض أن الصدفية لا تصيب الأغشية المخاطية أو اللسان.. أما مرض البلاجرا فقد أظهرت خصائصه المميزة وصفته التشريحية الخاصة به.

الثالث: أمراض جلدية سائدة في البلاد العربية مثلها تمامًا مثل بقية بلدان ومناخاته وهذه تمثل الغالبية العظمى من أمراض الجلد.

- هل هناك أمراض جلدية تنتج من الوراثة وحدها.. وأخرى من طبيعة البيئة وحدها وظواهرها المناخية وفي حالة أمراض الوراثة هل تنتقل بالعدوى.. وما هي الوقاية في كل الأحوال؟

– نعم هناك أمراض جلدية كثيرة تنتقل بالوراثة. ولا دخل لعدوى في انتقالها. وهذه الأمراض كثيرًا ما تظهر، وقد لوحظت الإصابة في ستة أجيال متعاقبة من عائلة واحدة وأيضًا مرض جفاف البشرة الملون كثرًا ما يلاحظ عن تزاوج الأقارب.. وتلعب الوراثة دورًا هامًا فيما يسمى بالوحمات وما يقال له "الحسنات" وكذلك تحليل البشرة الفقاعي.. وأيضًا تضخم البشرة براحة اليد وبطن القدم.. والجلد المطاط، وهناك أمراض تنتج من البيئة وظواهرها المناخية.. وهي كثيرة جدًا.. وكثيرا ما يتحدث الأطباء في المؤتمرات الدولية عن التوزيع الجغرافي للأمراض.. مثل مؤتمر طب

المناطق الحارة الدولية الذي عقد في كيوتو باليابان واشتركت فيه، وكان من أهم المواضيع التي ناقشها المؤتمر.. أن الشمس الوفيرة والتعرض للشمس من أهم المسببات لكثير من أمراض الجلد في المناطق الحارة.. والبلدان العربية بالذات. وفي تجنبها منجاة من كثر من أمراض الجلد.

- ما هو السر في أن الرجال وحدهم هما الذين يصابون بالصلع دون النساء؟ – الصلع يصيب الرجال بصفة كاملة.. أما النساء فقد نلاحظ قلة الشعر بصفة واضحة ولكنا لا نجد صلعًا كاملاً.. وهذا يردع إلى تأثير هرمونات الجنس.. فمن المعترف بها علميًا أن إفراز هرمون الذكور يزيد من نشاط الغدد الدهنية ويدعو لظهور حب الشباب وتساقط الشعر كاملاً عند الذكور في المنطقة الأمامية من الرأس وقمتها.. أما الإناث فإن هرمون الجنس عند الأنثى "ايسترجين" من شأنه أن يضاد ذلك التأثير على الشعر وحب الشباب والغدد الدهنية. ويمكن الاستفادة من ذلك علميًا بإعطاء هذا النوع من المرض.. وخاصة المصابين بحب الشباب عند الجنسين هرمون الأنثى "الايستروجين" مع الملاحظة الدقيقة لتأثير ذلك الهومون على الذكور. خوفًا من ظهور مضاعفات علاجية!!!
- هل يمكن أن تقدم لنا نباتا البيئة وأعشابها ما يصلح كدواء لبعض الأمراض الجلدية عندنا. وما هي القيمة العلمية لنبات الصبار الذي اكتشفتم فائدته لبعض الأمراض الجلدية؟

– قدمت لنا نباتات البيئة وأعشابها أدوية لكثير من الأمراض العامة والأمراض الجلدية بصفة خاصة، ولقد قمت بإظهار ما لنبات الصبار من فوائد علاجية. وقد تمت الأبحاث العلمية الخاصة بذلك بنجاح كبير، وأمكن استخلاص عصارات المواد الفعالة فيشكل أدوية حديثة قدمتها مصر للعالم.. لقد قمت بإضافة مادة (الباثنتينول) إلى مادة الصبار. وبذلك اكتشفت علاجًا جديدًا وفعالاً يمسى (الوبانتين) وهو في اعتقادي أفضل ما يمكن تقديمه لعلاج أمراض فروة الرأس وقشورها وتساقط الشعر بطريقة علمية سليمة ليس لها أي مضاعافت، وهذا أقل ما يمن تقديمه لهذا الوطن الحبيب الذي رعانا وأنبتنا نباتًا حسنًا.

والمناسبة أحب أن أقول إنه بمراجعتي للتراث القديم وجدت أن شجر الجميز "فيكس سيكامورس" وهو شجر مصري قديم كان مقدسًا عند قدماء المصريين. ولقد وجدت سلال من فاكهته بجوار جثث الموتى. كانوا يصنعون توابيتهم من أخشابه ويعالجون بعصارته بعض الأمراض الجلدية الباطنية. وكذلك الحروق والجروح الجلدية.

وعندما كنت صغيرًا كان أهلي في قريتي يعالجون بعصير الجميز بعض أمراض الجلد بنجاح، ومن هنا بدأت البحث في هذا المضمار وانتهيت إلى نتائج هامة في شفاء بعض الأمراض الجلدية مثل "العطشة" و"القوباء" وأنواع من التهابات الجلد. كما تأكد لي تأثيره في علاج مرض التهاب بصيلات الشعر بذقون الرجال وتخفيف حدة مرض الصدفية. وأكزيما الأطفال. وهناك ما يبشر باستعمالات أخرى كثيرة لهذا الدواء.. وقد ألقيت بحثًا عن ذلك في مؤتمر النباتات الطبية الأفريقية وكذلك مؤتمر الصيدلة اللذين عقدا في العام الماضي.. والأبحاث مازالت جارية لزيادة الفائدة من هذا النبات.

- هناك دعوات تنطلق.. ومؤتمرات تعقد من أجل تعريب العلوم في جامعاتنا العربية.. أين تقف من هذه القضية؟

- بكل مشاعري، وكما أتمنى لأمتنا العربية أن تبلغ المكانة اللائقة بها في هذا العصر.. أتمنى كذلك للغتنا العربية، لغة الضاد، كل أمجاد وانتشار، فهي لغة القرآن الكريم، ذلك الدستور السماوي الأعظم الذي نزل هدى ورحمة للعالمين. ولكن هذا الوقت الذي تكون فيه مكتبتنا العربية الطبية قد لحقت بركب الحضارة والتقدم العالمي الحديث لم يجئ بعد أما قبل هذا افلا بد من الإبقاء على تدريس الكب باللغة الإنجليزية ليمكننا أن نأخذ من المصادر العالمية أفضل ما عندها.. وحتى يقرأ لنا الأجانب أبحاثنا وكتبنا لأنهم بذلك يفهمون ويعترفون بنا.. وأعتقد أن في تبليغ رسالتنا العلمية إلى هذه المجالات كل الخير لوطننا وأمتنا العربية المجيدة.. ولولا أننا نخاطبهم بلغتهم لما شاركناهم أو شاركونا في ندواتهم وندواتنا ومؤتمراتهم ومؤتمراتنا. وحلقات التعليم والعلم التي تعقد في كل مكان.

- وليس معنى هذا أن يظل الوضع هكذا إلى الأبد. ولكن عندما يصبح علماؤنا في شتى فروع العلم والطب قادرين على أن تكون لهم المكتبة العربية الكاملة. مع ترجمة ملخصات باللغة الأجنبية لمؤلفاتهم وأبحاثهم. في هذا الوقت ستجدني من غلاة الداعين إلى تعريب العلوم.. وهذا أمل لكل عربي مخلص لوطنه ولكن الحقيقة أن الوقت لم يحن بعد!!

- أصبحنا عالة على الإنسانية نأخذ من العلم نتائجه الجاهزة بدون أن نضيف إلى منسوبه شيئًا.. الآن هل تعتقد أننا وصلنا إلى مرحلة الإسهام؟؟

- الواقع أن العرب أسهموا بدور بالغ الأهمية في أصول الحضارة والعلم. كما لا أحب الإطالة في الحديث عن الحضارة المصرية القديمة منذ آلاف السنين والتخلف الذي أصاب أمتنا نتيجة عوامل كثرة أهمها الاحتلال المتعاقب مما أدى إلى تخلفنا في الماضي.. ولكني أرى الآن أن الصبح قد لاح فجره" وأن أمتنا العربية أخذت تصحو من رقادها وأن الجهود الفردية التي يقوم بها علماؤنا في الداخل وفي الخارج سوف تصبح بإذن الله جهودًا مكثفة تشيع مناخًا علميًا كاملاً، ولقد بدأ العالم يقدم التقدير لجهودنا العلمية، وأنا أذكر بعض جوانب هذا التقدير من خلال مشاركتي في بعض المؤتمرات العلمية الدولية.

فعندما كنت أحضر اجتماع الأكاديمية الأمريكية المنعقد في ميامي بيتش والذي قدمت فيه بحثي عن الحزاز الاستوائي وقف رئيس الاجتماع الدكتور ويتر ليقول" (أقدم لكم أستاذًا مصريًا أعرفه وأعرف وطنه ومدرسته ووزنه في وطنه وقد حضر إلينا ليعرفنا بشي جديد) وهنا وقف الأعضاء جميعا يصفقون، ولم يكن التصفيق لشخصي بل لوطني العملاق. وكنت مجرد سفير علمي له ليس إلا.. وفي اجتماع آخر في ألأكاديمية الأمريكية بواشنجتون خلال شهر رمضان، وكنت صائمًا، كنت أقف في معرضي الطبي العلمي الذي أقمته ضمن معارض الأكاديمية في الـ"بالمرهاوس" وكان موضوع المعرض ولوحاته عن الالتهابات الجلدية السائدة في الشرق الأوسط، وبينما كنت أقوم بشرح اللوحات وتوزيع النشرات على رواد معرضي لاحظ أحد الأساتذة الأمريكان فيشر "مدى الإعياء الذي لحق بي لأنني لم أكن قد أفطرت برغم حلول موعد الإفطار. نظرًا لازدحام المعرض بالزوار، والمجهود الذي بذلته طوال اليوم في قاعات المحاضرات والمناقشات العلمية.. فاقترب الأستاذ مني يقول لي بالحرف الواحد "لماذا كل هذا؟ قلت من اجل العلم ووطني" فرد على بقوله" أنت خير سفير لأمتك".. وقد أرسل هذا الأستاذ بدون علمي خطابًا بهذا لوزارة التعليم العالي عندنا.. ولم أرعف خبرة إلا بعد أن حولته الوزارة إلىّ .. كان ذلك منذ حوالي ثمانية أعوام.

وأذكر بالفخر زيارتي لأستراليا في إبريل سنة ١٩٦٧ لحضور افتتاح كلية الدراسات العليا لأمراض الجلد في سيدني. فقد ألقيت محاضرات الافتتاح. وكنت أحد سبعة علماء يمثلون العالم. وكنت أول طبيب عربي يحاضر في أستراليا.. وخصني رئيس الاجتماع بالتكريم وهو يقدمني بقوله إن من أول تعاليم أمراض الجلد هي التعاليم المصرية. وأن "هبر" صاحب التعاليم المصرية هو أول رواد أمراض الجلد القدامى في العالم.

ولقد زرت الهند مرات عديدة وألقيت أبحاثي في كلكتا ونيودليه وبمباي.. وأعلنت في النرويج عن وجود الجذام.. واقتنت السويد مجموعة كتبي لمكتبة كلية الطب بها.. وآخر تكريم

نال العلم العربي في شخصي هو انتخابي عضوًا في إدارة جمعية الأمراض الجلدية الدولية في اجتماعها الأخير بمناسبة المؤتمر الدولي الذي عقد في سان باولو بالبرازيل والذي أسهمت فيه بأبحاثي، وعقدت لي رئاسة واحدة من جلساته.. ومن هناك ذهبت إلى الأرجنتين حيث ألقيت في مؤتمر الجذام الدولي هناك بحثًا علميًا اعتبرته هيئة المؤتمر جديرًا بتعيين عضوًا ممثلاً لها ومراسلاً للشرط الأوسط، وأرسلت إلى براءة ذلك في صورة شهادة تقدير أعتز بها بجانب الشهادات الدولية الأخرى.. ففي عام ١٩٧٥ وصلتني ثلاث براءات شرفية بهذا المعنى من البرازيل والأرجنتين وبولندا.

وما أردت بهذا أن أتحدث إليها عن شخصي، وإنا استهدفت أن أضرب لك مثلاً عن مدى المكانة التي وصل إليها العلم العربي وأنه أصبح يملك العطاء والإضافة.. وأنه لم يعد عالة على غيره، بل أصبح له إسهامه المعترف به عالميًا. وقد استشهدت في هذا الصدد بالمجال الذي يخصني.

- لقد تذرع الإلحاد طويلاً بمنطق العلم في محاولته لهدم أسس الدين.. هل جاء الوقت الذي أصبحت فيه إمكانيات العلم تدحض مسوغات الإلحاد؟

– سؤالك هذا هز مشاعري.. إني أعتبره إبداعًا ليس في اللغة فحسب بل في المعنى أيضًا، نعم يا سيدي جاء الوقت، وسيجيء بشكل أوضح، ذلك الوقت الذي تدحض فيه دولة العلم والإيمان دولة الجهل والإلحاد. وسيقوم ذلك أساسًا على اكتشافات أبناء الأمة العربية. و بواستطهم سيبين العلم أن الله هو الحقيقة الكبرى وأن كل الحقائق إليه مرجعها وأن الرجوع إليه هو الخلاص من كل ما يعانيه عالمنا من شر.. إن حقائق العلم المعاصرة تثبت في كل جزئية من جزئياتها أن الأكوان من صنع إله عظيم قديم.. لقد أظهر العلم وسوف يظهر أن كل ما جاء في التعاليم الدينية والإنسانية هو لخير البشرية، إن العلم الحديث يفسّر لنا الآن غوامض ما كان خافيًا.. وعصر الإيمان المطلق قادم ولن تعود للإلحاد أي ذريعة.

إن شعار دولة العلم والإيمان الذي أطلقه رئيسنا المؤمن محمد أنور السادات لم يأت عفويًا، فهو في الحقيقة تعبير عن وعي شامل نفذ إلى الحقيقة.

يناير سنة ١٩٧٦

أحمد كامل مرسي

الفن الذي لا يدافع عن كرامة الإنسان.. لا يكون فنًا!

المخرج المصري أحمد كامل مرسي واحد من الرواد الذين تدين لهم قافلة السينما المصرية بمحطات هامة في فيافي طريق طويل.. على مداه تناثرت قطرات عرقهم وكفاحهم ومعاناة جهودهم وخبراتهم.. وهو واحد من الذين عشقوا هذا الفن وأعطوه أعمارهم ونبضات قلوبهم وعبدوا الطريق ورصفوه لمسيرة ينتظرها الكثير لننجزه. إنه أحد أعلام جيل رائد انطلق بسفينة السينما المصرية وجدف لها بإيمان ومثارة وهي تخوض عباب تجربة جديدة وسط عواطف وعرة.. لقد استطاع هذا الفنان مع جيله أن يبلغ بالسينما مرحلة، لو واصلها من جاء بع هذا الجيل بنفس الجدية والإيمان بالرسالة، لكانت السينما المصرية قد حققت مالا يمكن تقدير مداه ومنسوبه.

وإيمانا بدور هذا الفنان الشيخ المترهب. وفكره المتجدد ذهبت إليه أحمل تساؤلات حول قضايا سينمائية أطمح في أن تقدم لنا إجابته عليها أضواء تنير معالم الطريق من أجل مستقبل أفضل للسينما المصرية.

قلت لشيخ المخرجين أحمد كامل مرسي:

- السينما التسجيلية هل وصلت في رأيك إلى لغة فنية، تمكنها من اكتساب قاعدة عريضة من الجماهير المشاهدة. سواء في العالم المتطور أو في العالم النامي مثل الفيلم الروائي؟

- نعم بطبيعة الحال- ولا عجب- فالسينما العالمية بدأت تسجيلية، منذ نشأتها الأولى عام ١٨٩٥، ثم أخذت تنمو وتتطور على مر السنين، وكان من أهم مظاهر نموها وتطورها، ظهور الفيلم الروائي بكل نوعياته المتعددة والمختلفة. في العقدين الأول والثاني من هذا القرن.. وحتى بعد أن ظهر الصوت واللون في الأفلام السينمائية، وذلك في نهاية العشرينيات وبداية الثلاثينيات فإن السينما التسجيلية كانت موجودة، بل كانت ومازالت تخطو خطوات ثابتة ومتطورة، واستطاعت أن تقف بثبات ونجاح، جنبًا إلى جنب مع السينما الروائية. وأننا لا نغالي في القول، إذا اعترفنا بأن اللغة السينمائية المتطورة في السينما التسجيلية، كانت حافزًا قويًا لتطوير السينما الروائية. في كل أرجاء المعمورة. وقد بلغ من اهتمام الجماهير بهذه النوعية من الأفلام في البلاد المتحضرة أن تأسست دور عرض خاصة تقتصر عروضها على الأفلام التسجيلية والأفلام القصيرة، بكافة نوعياتها المختلفة والمتعددة.

- مسرتك مع السينما من أين بدأت؟ وإلى أين وصلت؟ وهل لديك أفكار أو مشروعات بالنسبة للمستقبل؟

- بدأت علاقتي بالسينما، كناقد فني في دار "روز اليوسف" منذ أوائل الثلاثينات. وفي عام ١٩٣٨ قدمت أول فيم أجنبي ناطق بالعربية، وهو فيم " مستر ديدز يذهب إلى المدينة" وهو فيلم أمريكي في إخراج فرانك كابرا. ثم عقبت عليه بتعريب ودبلجة. أي إنطاق الكثير من الأفلام الأجنبية سواء أكانت أمريكية أم إنجليزية أم فرنسية أم سوفيتية.. وكان آخر عمل فيم "مصير إنسان" وهو فيلم سوفيتي من إخراج سيرجي بوندراتشوك. وفي هذه الفترة ساعدت في إخراج أكثر من فيلم مصري، مع زميلي القديم نيازي مصطفى والأستاذين يوسف وهبي وتوجو مزراحي. ثم بدأت حياتي كمخرج بفيلم "العودة إلى الريف" في نهاية عام ١٩٣٩، وتوقفت بعد فيلم "الميعاد" عام ١٩٥٤، وفي خلال هذه الفترة، التي لا تعدو خمسة عشر عامًا، أخرت خمسة عشر فيلمًا.

وفي العشرين السنة الأخيرة، لم أقدم غير عدد قليل ومحدود للغاية من الأفلام الثقافية والفنية، اعترافًا مني بقيمة وأهمية السينما التسجيلية وإحساسي بحاجتنا الملحة لمثل هذه النوعية من الأفلام في حياتنا الجديدة. واذكر من هذه الأفلام فيلم "القاهرة" لحساب التليفزيون عام ١٩٦١، وفيم (تاريخ السينما المصرية) لحساب المؤسسة والوكالة العربية للسينما عام ١٩٧٠، كما راجعت بعض الكتب المترجمة، والمتخصصة في الفن السينمائي، وأعتقد أن من أهمها

كتاب "فن الفيلم" وكتاب (السينما التسجيلية) ترجمة صلاح التهامي، وكتاب "التوليف السينمائي" ترجمة أحمد الحضري.

أما من حيث الأفكار والمشروعات للمستقبل، فهي كثيرة ومتعددة، ولكن لا أمل في عرضها أو مناقشتها. فكم من لجان تكونت وأوصت بعدة توصيات، وقدمت عدة أفكار ودراسات، ولكن للأسف الشديد، لم يتحقق منها شيء. وهذه هي نكبة اللجان في الشرق العربي، كلام كثير جدًا، وجدل ونقاش طويلان بلا نهاية، ومشروعات واقتراحات عديدة.. وعند التنفيذ أو التطبيق، لا تجد شيئًا مطلقًا، وإن وجدت شيئًا، وجدته منقوصًا أو مشوهًا أو مخالفًا تمامًا لما كانت الآمال معقودة عليه.. ولهذا ضقت ذرعًا بالاجتماعات والأقوال واللجان، طوال هذه العشرين السنة الأخيرة.. وإني لأرجو من الأعماق أن تكون السنوات المقبلة، أكثر خيرًا ونفعًا وإيجابية، من تلك السنوات المريرة، وإنما هي همسة عتاب، أتوجه بها إلى السينمائيين والنقاد على حد سواء، إخواني وأصدقائي،اجمعوا صفوفكم، وطهروا قلوبكم، وحكموا عقولكم وارعوا الحق والأمانة، فيما تقدمون وفيما تنقدون من أفلام. حاولوا أن تجمعوا بين التقييم والتقويم، بين الترفيه و التثقيف، لكن دون عنف أو تجريح أو إهانة، دون إسفاف أو هبوط أو تجارة، دون انتهازية أو عصبية وانفعالية.. وثقوا أن الله مع الصادقين، إذا صدقوا..

- يقال إن السينما بدأت بداية طيبة، لماذا في اعتقادك لم تستطع أن تطور نفسها، هذا إذا كنت توافق على وجهة نظر تدعي أنها مختلفة؟

- السينما المصرية مظلومة، مظلومة ممن مدحوها على طول الخط، ومظلومة ممن هاجموها على طول الخط. السينما المصرية ظلموها وتنكروا لها، تجنوا عليها بالحق والباطل، سواء في الماضي أو الحاضر.. أو من السينمائيين الطامعين في مكاسبها وأرباحها، المشروعة وغير المشروعة.. أو من النقاد الناقدين لها والساخطين عليها، المنكرين لوجودها إن حقًا أو ادعاء أو غرورًا.

الواقع أن السينما المصرية، بدأ فعلاً بداية طيبة، بداية بسيطة ومتواضعة ومخلصة، يغمر الحب والوفاء والطموح والمنافسة الشريفة، نفوس العاملين في مجالها، يفرحون لنجاح أي فيلم من الأفلام، بقدر ما يخزنون لفشل أي فيلم آخر، دون النظر إلى منتجه أو مخرجه أو ممثليه، كان الاجتهاد مبدأهم، وكان التقدم غايتهم. يكتفون بالأرباح القليلة أو المعقولة، ولا يطمعون في الأرباح الضخمة الفاحشة التي تطيش بالنفوس والعقول، وتدفعهم إلى المزيد ومزيد المزيد من الأرباح التي تجعلهم يقيمون العمائر الشاهقة، ويشترون السيارات الفارهة.

كان مفهوم السينما لدى السينائيين في بلادنا، في ذلك الحين، أنها رسالة وفن، أو بمغنى أدق يغلب عليها طابع الرسالة والفن. ولا عجب فقد مرت السينما العالمية طوال حياتها التي بلغت الثمانين عمن عمرها هذا العام، في صراع عنيف حاد بين تيارين أو اتجاهين، الأول يؤمن بانها فن ورسالة والثاني يؤمن بأنها صناعة وتجارة، وكثيرًا ما يلتقى التياران، ويتم التوازن بين الاتجاهين، وفي بعض الأحيان الأخرى يطغى تيار من التيارين على الآخر، وعندئذ تطرأ عليها حالات متوالية من التقدم والازدهار أو الهبوط والانهيار.. ولكن سرعان ما تعود إليها، وتدرك مغبة هذه الصراعات، وتقوم بعمل مصالحة أو موازنة بين أطراف النزاع، وتخطو خطوة نحو الطريق السوي الذي يضمن لها البقاء والاستمرار، ويحقق لها الذيوع والانتشار، باعتبار أن السينما أهم وأخطر وسيلة من وسائل الاتصال بالجماهير، حيث اجتمع في بنائها وتكوينها: الصورة، والحركة، والكلمة، والألوان، والأصوات.

ولا يخفى عن أذهاننا أن الإنتاج السينمائي في أي بلد من بلاد العالم المتحضر يختلف من حيث الكم والكيف بين العام والآخر. فيوجد فيه الجيد والرديء والمتوسط من الأفلام، كما تختلف نسبة الأفلام الجيدة إلى الأفلام الرديئة فتعلو حينًا موجة الأفلام الجيدة في عام وتطغى حينًا آخر موجة الأفلام الرديئة في عام آخر، وقد تستمر هذه الموجة أو تلك عدة أعوام، ولكن لا يمكننا بأية حال من الأحوال، أن نحكم حكمًا مطلقًا وحاسمًا وشاملاً، ونقول إن هذا الإنتاج أو ذاك، متخلف أو متقدم نتيجة لكثرة الأفلام الرديئة وقلة الأفلام الجيدة، مها تكن هذه القلة محدودة، ولا يعني هذا أنه انعدام وجود الأفلام ذات القيمة الفنية أو الموضوعية أو الإنسانية الصادق.. وإنما يعني أن نسبة هذه الأفلام قلت وتقل، وليس في مصر فقط، وإنما هي ظاهرة في العالم أجمع. وقد يكون ظهورها في الأفلام المصرية ملموسًا أكثر بطبيعة الحال، وعلينا أن نبحث عن طرق علاجها وإصلاحها لا أن نهاجمها هجومًا عنيفًا لا رحمة فيه يقضي على حاضرها وماضيها. ويلغي وجودها الذي استمر أكثر من خمسين عامًا. علينا أن نأخذ بيدها، ونبحث بهدوء وصدق، عن الأسباب التي أضرت بها، ودفعتها إلى هذه الهاوية، ونعمل متضامنين على إنقاذ ما يمكن إنقاذه. دون حقد أو ضغينة أو عصبية.. ويقيني أن السينما في بلادنا، لو أنها سارت على منوال ما وصلت إليه. في نهاية الثلاثينات والأربعينات وبداية الخمسينات لو وصلة إلى درجة أحسن مما وصلت إليه اليوم.

- تاريخ السينما المصرية، لماذا لم تحاول أن تكتبه لنا؟

- الواقع أني مكلف من قبل الدولة (وزارة الثقافة) أن أقوم بهذه المهمة بعد أن رحل عنا أستاذنا العزيز محمد كريم، الذي كان قد بدأ فعلاً في كتابة هذا التاريخ. وأنا بدوري أهتم بهذه الدراسة منذ سنوات، ولكن الأمر الذي يعوقني، هو أني برغم كوني من المعاصرين للسينما كهواية منذ عام ١٩٢٧ وبرغم أنني مارستها عمليًا كمخرج ومساعد مخرج، وأنني قد شاركت بمجهود متواضع مع الرعيل الأول من أعلام شبابها منذ عام ١٩٣٥.. إلا أنني أقف طويلاً أمام مراجعة الأحداث التي مرت بالسينما قبل هذه التواريخ. وهذا كما لا يخفى عليك، يحتاج إلى كثير من الوقت، لاستطلاع وتجميع كل الجزئيات، ومضاهاة ما نشرته الصحف والمجلات والدوريات القديمة، وهذا يحتاج إلى الصبر والمعاناة، إن المرحلة الأولى، هي مرحلة البداية الصعبة والنشأة الأولى هي المرحلة الصعبة والشاقة التي أرجو أن أنتهي منها هذا العام.

- الفيلم السينمائي الجيد، ما هي مواصفاته في نظر؟

- الفيلم الجيد هو الفيلم الذي يحقق المعادلة الصعبة، أي يطبق الموازنة والتعادل بني عناصره الأساسية من الناحية الإنتاجية، وبين أهدافه الاجتماعية من الناحية العلمية. فالفيلم يعتمد أصلاً على أربعة أركان، هي عناصره الأساسية في بنائه وتكوينه الناحية الفكرية أو الموضوعية والناحية الفنية أو الجمالية، والناحية الحرفية أو الصناعات العلمية والهندسية، وأخيرًا الناحية التجارية أو تسويق الفيلم من حيث التوزيع والعرض كما أن له أربعة أهداف من الناحية الاجتماعية: الجانب التربوي، الجانب الثقافي، الجانب الإعلامي، وأخيرًا الترفيهي. وعلى قدر تحقيق الفيلم لهذه العناصر وتلك الأهداف بشكل متعادل ومتناسب، تكون درجة نجاحه وامتيازه.

- العناصر السينمائية الشابة هل تعطي أملاً في إخراج السينما المصرية من أزمتها؟

- إن كل الأفلام التي ظهرت في السنوات الأخيرة لمجموعة من شبابنا الطموح المتوثب تبشر بالخير العظيم والأمل الكبير. وأذكر كنهم على سبيل المثال: حسين كمال، خليل شوقي، سيد عيسي. شادي عبد السلام، محمد عبد العزيز، أشرف فهمي، محمد راضي، سعيد مرزوق، علي بدرخان، على عبد الخالق. وفريق منهم نجح وأثبت وجوده من أول أفلامه، وفريق آخر نجح وأثبت وجوده بعد فيلم أو فيلمين، ولكن الذي أرجوه من هؤلاء الشبان وأمثالهم أن يثابروا في تقديم الجديد في

كل فيلم، وفي إضافة شيء ما إلى الفن السينمائي وألاّ يسيطر عليهم الغرور إذا نجحوا فالحياة كفاح، وتجارب وإصرار والمستقبل للصابرين المناضلين، من أجل رفع مستوى السينما المصرية، من الوهدة التي تهاوت إليها، بسبب عبث العابثين وطمع الطامعين.

- المؤتمرات والمهرجانات العالمية، التي تقام بخصوص السينما هل استفادت منها حركة السينما للدول النامية؟

- أرى من وجهة نظري أن هذه اللقاءات لها وجهان: الأول مضيء ومشرق ومفيد. والآخر معتم ومؤذ وضار في بعض الأحيان. أفادت منح يث إنها جعلت العالم يحس الإنتاج السينمائي في هذه البلاد النامية ويعترف بوجود حركة سينمائية في تلك البلاد كما أنها أفادت المبعوثين إلى هذه المؤتمرات والمهرجان بمشاهدة كل جديد في السينما العالمية، وقد يفيدهم هذا من حيث إنه يوسع مداركهم ويرفع من مستوى تذوقهم السينمائي ويدفعهم إلى إضافة شيء ما إلى إنتاجهم المحلي. واضرت باعتبار أنها بدأ تصافية وصادقة وعادلة، فيما تقيمه من ندوات وفيما تصدره من أحكام. إلا أنه مع مضي الزمن تغيرت الحال وبدأت المجاملات، والميول والمطامع والأغراض والعلاقات سواء كانت شخصية أم مذهبية أم سياسية أم تجارية، تلعب دورها وتسيطر على هذه المهرجانات وتغير من مسارها الطبيعية الذي أنشئت أصلاً من أجله. وقد يفوز الفيلم من الأفلام بجائزة أو شهادة تقدير وهنا يكمن الخطر، من حيث إنها تجعل صاحب هذا الفيلم يقع تحت سيطرة الغرور والخيلاء أو تجعله ينحرف عن المسار القومي لبلاده وشعبه ويجري وراء بريق العالمية وسراب مكاسبها المتألقة. إن المحلية هي صميم العالمية إذا أدرك الفنان مضمونها الحقيقي وعبر عنها بصدق وأمانة حتى يفيد وينجح بين أهله وعشيرته قبل أن يفوز بالسبق العالمي.

- كيف يمكننا أن نحمي صناعة السينما في مصر من عناصر مغامرة، تستهدف الربح من أسهل طريق؟

- هذه الحماية يجب أن تصدر أولاً من السينمائيين أنفسهم. ثانيًا من نقابة المهن السينمائية، التي لا تهتم بالسينما والسينمائيين فيل قيل أو كثير، ولست أدرى مدى فاعلية هذه النقابة اليوم، وثالثًا من وزارة الثقافة صاحبة النفوذ والتوجيه، وذلك بالبحث الجاد عن الحلول الحاسمة، ولعلها تقلل من الأقوال واللجان وتكثر من الأعمال المثمرة، وتهتم بالجوهر لا العرض. ورابعًا من النقاد السينمائيين على

اختلاف مدارسهم الذين يتخبطون في ديجور من الخلافات والجدل والنقاش الذي لا يجدي و لا يفيد.

- ما هي أبرز الأفلام التي قدمتها أنت للشاشة المصرية؟ ولماذا انصرفت عن الإخراج لك مدة؟

– من الصعب أن يتحدث المرء عن نفسه، أو عن أعماله.. ولكني أذكر لك بعض الأفلام التي أحس بها الناس، وقوبلت من النظارة والنقاد: بشيء من التقدير والإعجاب: وهي "العامل" و"النائب العام" و "غروب" و "الجنس اللطيف" و "البيت الكبير" و "ست البيت" و"كدت أهدم بيتي" و "أمريكاني من طنطا". أما سر انصرافي عن الإخراج فهو إحساسي بأن السينما بدأت تتهاوى، وطغت النواحي التجارية والعلاقات الشخصية على مسارها المأمول.. فآثرت الانزواء لفترة ولكن هذه الفترة طالت وامتدت إلى أكثر من عشرين سنة.

وفي رأي أن الفن الذي لا يكون وسيلة فعالة، لتجميل حياة صاحبه وحياة الناس، لا يكون فنًا جميلاً. وأن الفن الذي لا يدافع عن كرامة الإنسان ويناصر القيم الأخلاقية ويصور البيئة بصدق وأمانة لا يكون فنًا جميلاً.

- هل المفروض أن يكون الفنان له رؤية سياسية شاملة، تقف خلف الجزئية التي يتناولها فنه؟ أو المطلوب منه أن يجيد فحسب نوعية الفن التي يمارسها؟

– أنا شخصيًا لا أحب السياسة أو الحديث في السياسة وأوثر عدم التدخل في الشئون السياسية، ولا يعني هذا عدم الاهتمام. والضرورة لها أحكام، فالحياة نسيج متداخل من الوحدات والخيوط المتعددة، منها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية.. إلخ. فلا بد للفنان من رؤية سياسية بشرط أن تتوازن مع الوحدات الأخرى ولا تطغى عليها. واللمسة الفنية البارعة، هي التي تجمع بين وحدات النسيج في هدوء ولين دون صخب أو جعجعة. ومن الملاحظ أن الأفلام السياسية هي الوشمة الكبيرة التي تميز وجه الفن السابع في السبعينات.

- وبالمناسبة لماذا عندما تعالج السينما عندنا موضوعًا وطنيًا، تعمد إلى الخطابة والزعيق، هل هو عجز عن الوصول إلى الفن ولغة الفن الحقيقية في مخاطبة الجماهير؟

– الصوت العالي والصراخ المرتفع، سمة العصر الحاضر، في الحديث والنقاش والتمثيل. وهو عيب مشين بطبيعة الحال. يتنافى مع الذوق ومع الأدب مع الفن والأخلاق، والفنان السينمائي الذي يعالج الموضوعات الفنية أو السياسية يقدم على

إخراجها دون وعي كامل وإحساس صادق. وهذه النوعية من الأفلام تحتاج إلى مزيد من العلم والمعرفة والدقة، من سعة الخيال وقوة الإيمان وهناك قول مأثور هو "على قدر إيمانك واقتناعك بالموضوع الذي تعالجه وتخرجه على قدر إيمان واقتناع الجماهير، وإذا كان هذا القول يطلق بشكل عام، على أي موضوع فإنه يجب توفره بشكل حازم وملحوظ في الموضوعات الوطنية أو التاريخية، و يؤسفني أن أقرر مرة أخرى، أن هذا يتعذر وجوده بين غالبية العاملين في الحقل السينمائي. ولهذا كان التواصل مقطوعًا، بين الجمهور وبين ما يشاهده على الشاشة. والعيب في ذلك يرجع إلى ضحالة الفنان وعجزه لا في ضعف أو قصور اللغة السينمائية عن التعبير أو التوصيل.

- التليفزيون ما هو تقويمك لتجربته في مصر؟ هل استطاع أن يحقق شخصية مستقلة وهل أثر على السينما المصرية اقتصاديًا؟

- التليفزيون غول ضخم يبتلع كل إنتاج، ولا يفرق بين الجيد وبين الرديء وإنما هي ساعات طويلة للإرسال. ويجب تغطيتها بالبرامج أيا كانت هذه البرامج، فالسرعة والعجلة والهرولة، من أجل ملء هذه الساعات، هي المبدأ العام في العمل التليفزيوني، والتليفزيون في مصر بل وفي العالم أجمع لم يأت بجديد، وإنما هو امتداد للإذاعة من ناحية، ولهذا أطلقوا عليه أحيانًا لفظ "الإذاعة المرئية، وهو امتداد للحركة والألوان المصورة من ناحية أخرى، ولهذا أطلقوا عليه "الشاشة الصغيرة" للتفرقة بينه وبين شاشات السينما العادية. هو مزيد عصري وعلمي بين الإذاعة والسينما. لكنه يتميز بعدة أشياء، أهمها الفورية والآنية في نقل بعض الأحداث والحفلات والندوات والعروض المسرحية أو السينمائية أحيانًا، وأن الأسرة في البيت عند المشاهدة تحس بنوع من الألفة.

وقد أثر التليفزيون على السينما اقتصاديًا، لا في مصر فقط، بل في العالم أجمع.. كما أنه أثر عليها فنيًا وفكريًا، لأن معظم العاملين في الحقل السينمائي، تأثروا إلى حد بعيد وخطير، بالسرعة والعجلة والهرولة، التي هي من خصائص التليفزيون. هذا الغول الضخم الذي يبتلع كل إنتاج، ويقبل أي شيء ذا قيمة أو غير ذي قيمة. هذا من جانب، ومن جانب آخر فهو يعرض الكثير من الإنتاج السينمائي قديمًا وحديثًا، ودفع هذا كله السينمائيين إلى الاتجاه الجديد، وهو عمل المزيد من نوعية أفلام الجريمة والجنس والعنف، بشكل مبالغ فيه ومفضوح حتى يغري

المشاهدين بالتردد على دور السينما، لأن المفروض أن التليفزيون لا يعرض مثل هذه النوعية من الأفلام.

- ما يسمى بالتجارب الطليعية في السينما، هل يحتاج إليها واقع العالم النامي؟ أو أن الواقعية ضرورية لمشاكل هذا العالم، وكيف يمكنها أن تحقق التوازن بين لغة سينمائية متطورة وبين مراعاة واقع يحتاج التعامل معه إلى الاندماج فيه لا التعالي عليه؟

– أراني مضطرًا أن أردد قول أستاذنا توفيق الحكيم في حديثه الأخير معك الذي نشرته مجلة الكواكب في عددها الصادر بتاريخ ٢٦ أغسطس سنة ١٩٧٥ ففيه الرد الشافي على سؤالك، وقد توفرت فيه البساطة والعمق والإيجاز. وهذا القول هو: كل شيء ممكن أمام التجارب الفنية. وما الفن إلا أشكال وأثواب، تتغير وتتجدد باستمرار وليس كل تغيير أو تجديد، قابلاً للحياة والبقاء. إنما المهم في الفن وفي افكر، بل وفي كل قيمة من قيم الحياة، هو عدم التحجر والجمود. علينا نحن أن نتحرك، وعلى الحياة أن تتخير الصالح للبقاء.

سبتمبر سنة ١٩٧٥

مرسي جميل عزيز

أغانينا متشابهة.. كوجوه اليابانيين في عيوننا!

ما مرة ذهبت فيها إلى الإسكندرية الأثيرة وأتيح لي اللقاء بالصديق الفنان مرسي جميل عزيز إلا وأعرب له عن رغبتي في إجراء حديث معه حول الأغنية المصرية وأوضاعها.. ولكنه كان يفلت مني في كل مرة لا بالرفض القاطع وإنما باعتذار من يشعرك بأنه غير واجد القابلية للحديث.. وكان يسوق لي أسبابًا لا أجدها وجيهة من قبلي ولكني كنت أحترم عزوفه.

ومؤخرًا التقيت به في "مقهى دي لابيه" حيث ملتقى رجال الفكر والفن بالإسكندرية وبادرته بنفس الرغبة، وتضافر معي الصديق الشاعر والمجاهد السياسي القديم إبراهيم طلعت المحامي، وكذلك الصديق الطبيب عازف العود الدكتور أحمد توفيق.. واستجاب الفنان مرسي جميل عزيز.. وكان هذا الحديث.

- قلت للشاعر الغنائي مرسي جميل عزيز: الحديث عن أزمة الأغنية المصرية يكاد يكون "روتينًا" فما من موسم إلا ويتجدد الحديث عن الأغنية وأزمتها.. فما رأيك أنت؟

- وأجابني مرسي جميل عزيز بقوله: البعض عندما لا يجد ما يكتبه يستنجد بالحديث عن أزمة الأغنية.. فهي "الحيطة الواطية" بدليل أنني حتى الآن لم اقرأ نقدًا موضوعيًا في كل الكتابات التي قالت بالأزمة.. والمفروض أن يأتي الحديث عن الأغنية وأوضاعها من الذين لديهم الكفاءة لذلك.. ليس هناك من كتابات نحترمها غير ما يكتبه الأستاذ كمال النجمي أحيانًا. ومقال كتبه الأستاذ أحمد بهاء الدين منذ

نحو عشر سنوات في صحيفة "الأخبار" لنقد أغنية "ساكن قصادي" أما ما ماعدا ذلك فمجرد شتائم.. وليس معنى هذا أنني راضي عن وضع الأغنية كما هو الآن.. إن هذا الوضع أسوأ جدًا من الاتهامات التي توجه إليها.. ولكن كل ما في الأمر أننا نفتقد النقد الموضوعي فيما يوجه إليها من اتهامات.. وهذا النقد الموضوعي هو الكفيل بإخراجها من الورطة. وباسطة أن يستفيد الكاتب والملحن والمؤدي والمستمع من هذا النقد.

- مهما يكن من أمر فبرغم اعتراضك على ما يكتب حول أزمة الأغنية.. إلا أنك اعترفت بوضعها السيئ. إذا كانت هناك أزمة وأن الأغنية أصبحت متخلفة ما هي مظاهر هذا التخلف وكيف يمكنها اجتياز المحنة؟

- أحب أن أتحدث عن خطورة الأزمة أولاً.. كلنا يوافق على أن الأمية متفشية بدرجة خطيرة بين جماهيرنا، وهذا ما يلغي أهمية جميع الفنون المقروءة بالنسبة لجماهيرنا الأمية. ومعنى هذا أن الأغنية هي الفن الوحيد الذي يصل إليهم وتصبح لها فعاليتها المؤثرة في مشاعرهم.. بجانب هذا فالأغنية هي أول فن يتلقاه الأطفال منذ البداية.

وبواسطة ضغطها وإفرازاتها تتشكل وجداناتهم في مرحلة تبدأ فيها شخصياتهم في التكون.. ولقد ظهرت نظرية حديثة تقول بأن الفنون التي تكتب للأطفال خصيصًا ينصرف عنه الأطفال ولا يكون لها شأن في التأثير الداخلي في أعماقهم.. بل قد أثبتت هذه النظرة أن الأطفال يتأثرون بفنون الكبار وهناك دراسة قدمها التليفزيون الأمريكي مؤخرًا انتهت إلى هذه النتيجة. أعود إلى سؤالك لأتساءل.. هل أغانينا باستثناء قلة محدودة.. تأتي على درجة من الجودة الفنية التي تبرر أن نترك لها مطلق الحرية لتشكيل وجدانات الجماهير العريضة. بجانب قاعدة الطفولة.. هل النص الأدبي للأغنية بصفة عامة بصل إلى مستوى الأعمال الفنية؟.. مادمت تطلب مني الإجابة فدعني أقلها لك بضمير مطمئن.. لا.. لا يا صديقي.. إنها مباذل وليست أغنيات تلك التي تتوالى على أسماعنا وتخرب الذوق فينا هناك سبب بسيط لذلك إن نسبة كبيرة من الذين يؤلفون الأغاني.. بينهم وبين الثقافة من أي نوع خصومة مستحكمة.. إن أي إنسان يجيد عملية الوزن يستطيع أن يكتب الأغاني ويستطيع في ظل المناخ السائد في حياتنا الفنية أن يجد من يشتريها ومن يلحنها ومن غينها ومن يروج لها.. بل إن البعض منهم يفتقد حتى إجادة عملية الوزن ذاتها.. كلام.. أي كلام.. والسوق تحتضن. والبضاعة رائجة والنقد غائب!

ثم يأتي دور الملحن.. والمصيبة أشد خطورة.. خاصة في الفترة الأخيرة.. أصبح الفارق بين لحن ولحن هو مجرد اختيار الآلات الفردية مثل السكس والجيتار والأورج والطبول. بدون موهبة متميزة.. وشخصية متفردة، لم يعد هناك خلق وإبداع ومعاناة.. والدليل على ذلك أننا عندما نسمع أي جز من أغنية قديمة فللتو نعرف ملحنها ومؤديها..

أما الآن فمجرد جمل موسيقية طويلة لا نعرف إن كان للموجي أو بليغ حمدي أو حلمي بكر أو سلطان.. أصبحت أغنياتنا مثل وجود اليابانيين متشابهة لدرجة أنن لا نعرف بعضهم من بعض حتى أن جانبًا كبيرًا من أولادنا أصبح يقبل على الأغاني الأجنبية ويرددها بدون فهم لكماتها وذلك لإفلاس ملحنينا في جذب اهتمامهم.

- ولكن يا صديقي ألا تشكل الأصوات الغنائية جزءًا من الأزمة.. ليس هناك ثمة إضافة مباشرة؟

- الأصوات المنتشرة جيدة بالتأكيد.. ولكنها لا تكفي إطلاقًا لجعل نهر الغناء يتدفق بالحيوية.. ويقال إن المشكلة تكمن في عدم ظهور أصوات جديدة ربما.. ولكن الواقع يؤكد أننا نمتلك أصواتًا بالغة الجودة.. وكثيرة.. وكلنها مركونة بلا سبب مفهوم.. وهي لا تقل عن الأصوات التي تلح على آذاننا في الصباح والمساء.. قل لي.. لماذا ألقوا في جب النسيان بسعاد مكاوي وأحلام وحورية حسن وعائشة حسن ومحمد قنديل ونازك وكارم محمود.. هؤلاء كانوا إمكانات غناء هائلة وخصبة.. فلماذا في غمار الضجيج تحجب أصواتهم.. والمسئول عن ذلك ليست شركات الأسطوانات والأفلام وحدها.. الإذاعة والتليفزيون شريكان في المسئولية بلا جدال. لقد أصبح هذا الجهاز يعيش على الإنتاج الذي يقدمه له المطربون وشركات الأسطوانات.. وعندي سؤال أحب أن ألقيه.. كم عدد الأغاني الناجحة التي قدمتها الإذاعة والتليفزيون في السنوات العشر الماضية من خلال ميزانيات باهظة التكاليف.

- وإذا كانت هناك محاولة جادة تريد إخراج الأغنية من أزمتها. فلابد أن تكون البداية من أجهزة الإعلام.. في الماضي منذ عشرين سنة تقريبًا كان هناك نظام مختارات الإذاعة بواسطة هذه المختارات شقت طريقها الأغنيات الناجحة والأصوات الغنائية المؤكدة.. مثل أغنية "مال الهوى يا أمه" التي قالت عنها المطربة صباح مؤخرًا بأنها كانت بداية حياتها الفنية الحقيقية وكذلك كانت أغنية "أن قلبي إليك ميال" بداية فايزة

أحمد.. وهي من مختارات الإذاعة ولدت.. أما الآن فدلوني على أغنية واحدة أو مطرب ناجح من خلال الإذاعة والتليفزيون.. ويبدو أن ميزانية الإذاعة لم تعد تكفي غير موظفيها الإداريين.. أما الأعمال الفنية فلها رب اسمه الكريم!! ولا داعي الآن للتعرض للشللية المستفحلة.. إن الأوساط الفنية تعرف الآن بالاسم من هم حماة فلان.. ورجال فلانة.

- قد يكون ذوقًا فجًا أو متخلفًا.. أو ربما أكون منتميًا لعصر اندثر ولكني لا أكتم رأيي في أن الأصوات التي يقدمونها لنا باسم الجديد.. إنها في رأيي "ندب" وشيء مخجل في أغلب الأحايين..وشيء ليس من المعقول أن تكون مصر قد عقمت.. في رأيك ما هي الطريقة الأفضل لاكتشاف المواهب الجديدة؟

  - قل لك من قبل إن أجهزة الإعلام لم تعد تتحمس للاكتشاف.. أو احتضان الجديد الحقيقي. وأصبح الأمر بحذافيره متروكًا للملحن لتقديم الصوت الذي يرى فيه الصلاحية.. وسمعة البعض ليست فوق مجال الشك.. مما يجعل طريق المواهب الجديدة محفوفًا بالشوك.. مما يجعل بعض المواهب تعجز عن مواصلة الطريق.. أو يحجب عنها أي ضوء يريها معالم الطريق... ومن جهة أخرى ألم أقل لك منذ لحظة إن كل مطرب أو مطربة من أصحاب النفوذ أولها (سيدة) في أجهزة الإعلام.. وفي يد هؤلاء القدرة التامة لحجب أي مواهب حقيقية حتى لا تشكل أي منافسة تعرض البعض للخطر أو الاهتزاز.

- طيب.. إنه الظلام.. هل يكفي أن تلعنه لينقشع.. علينا أن نوقد شمعة. قل لي كيف يمكن أن نوقدها. هل من سبيل لينجاب الضباب؟

  - ليس هناك من حل للخروج من أزمة اكتشاف المواهب الجديدة. وحمايتها من الطرق التحتية غير أن تتكون في الإذاعة والتليفزيون لجنة من كبار الأدباء والشعراء والنقاد والصحفيين والملحنين بجانب أساتذة علم الصوت للإشراف على تنظيم عملية اكتشاف المواهب الجديدة وتقديمها ورعايتها وإتاحة الفرص أمامها. لأنه الصوت الجديد في حاجة إلى نص جيد ولحن أجود أكثر من حاجة الأسماء الراسخة في السوق!

- سمعت أنك تنهمك الآن في كتابة سيناريوهات أفلام جديدة.. لقد عرفناك كاتب أغنية نعتز به.. مالك والسيناريو؟

- الواقع أنني لم أقتحم مجال السيناريو متطفلاً عليه. لقد أدركت منذ أمد بعيد أن اهتمامي بالشعر وضروب الثقافة المتباينة لا يكفي وحده لفنية الأغنية، وعرف أن الثقافة الدرامية على أعلى مستويات هي التي تكفل لي كتابة أغان تتوفر فيها هذه الفنية بالدرجة التي تشعرني با،ني أعطيت جديدًا، ولم أعزف مجرد اللحن المألوف.. و استغرقتني دراسة الدراما. حتى أن المقتنيات الدرامية في مكتبي تكاد تتعادل و دواوين الشعر قديمة وحديثة.. ولقد أتاحت في دراسة الدراما أن أستفيد منها كثيرًا فيما كتبت من أغنيات... وبالمناسبة لعلك لا تعرف أنني خريج الدفعة الأولى في معهد السيناريو.. ولقد اشتركت في كتابة أكثر من سيناريو لبعض الأفلام. ولكن الأوان قد آن لأقدم أعمالي كاملة وأتحمل أمام المشاهد مسئوليتها.

- لقد أثير بعد رحيل "كوكب الشرق " أم كلثوم كلام كثير عن خلافتها.. في هذه القضية هل لديك ما تقوله؟

- الفنان العظيم حقيقة لابد أن تتوفر له خاصية أن يكون منفردًا بسمات لا يشاركه فيها أحد غيره، وإلا فقل لي من هو خليفة شارلي شابلن. ومن هو خليفة والت ديزني وسيسبل دي ميل. وليس في هذا إقلال من شأن الأخيرين.. فعندنا مطربات عظيمات بدون شك. لدينا نجاة و فايزة وشادية وسعدا محمد وفيروز.. ولكن أم كلثوم كانت نسيجًا خاصًا.. وهي لم تكن بصوتها فحسب.. بل بكل مظاهر حياتها.. بكل محتواها كانت أم كلثوم الشيء الخارق المنفرد.. وليس معنى هذا أن مصر التي أنجبتها غير قادرة على أن تقدم لنا مثلها.. كل ما أعنيه أن احتمال وجود مطربة عظيمة مثلها ليس مستحيلاً.. ولكن المهم أن تكون شيئًا خاصًا لا نسخة أخرى منها!

- في مجال حديثك عن الدراما استعملت تعبير "فنية الأغنية" ماذا تعني بهذا التعبير" وهل هناك فارق بين القصيدة المقروءة والقصيدة المؤداة غنائيًا؟

- هناك قصائد مروءة تصلح لغناء والأمثلة كثيرة في شعر شوقي وناجي ونزار. ولكن القصيدة التي تكتب للغناء أساسًا لها مواصفات ليس منها أن تكون قصة كما فعل البعض. فالقصة شيء والأغنية شيء آخر. المفروض أن الأغنية تعالج موقفًا محددًا يتسم بالعمق وليس بالعرض والتفاصيل والزوائد كموضوع الإنشاء. وكما نجد البعض يفعل.. كما أن ألفاظها وتركيبتها يتحتم أن تكون من الوضوح والبساطة الفنية بمكان.. لأن قارئ القصيدة ينصب كل إحساسه في أكثر من مرة حتى يدرك إحساس الشاعر. أما القصيدة المغناة فإنها تصل إلى المتلقى من خلال صوت

ولحن وجمل موسيقية فإذا لم يكن الشعر واضحًا الوضوح الكافي يتوه منه الموقف.. لهذا فإن اللحن يساعد على الانتشار السريع للأغنية.. أما الكلمات فهي وحدها التي تحمل مسئولية بقائها.. كما أن الطاقة الإيحائية لكلمات الأغنية هي التي تلهم الملحن الحساس للطرقة التي تتعانق مع كلماتها في وحدة فنية منسجمة.

- هل يستطيع الصوت الجميل وحده أن يعوض ركاكة النص أو ضعف اللحن؟

  - يستطيع بدليل النجاح السريع لمعظم أغاني هذه الأيام.. وبدليل انتشار الأغنية الأجنبية التي يرددها البعض بدون فهم لكلماتها..، ولكن هذا النجاح يزول بسرعة، فمهما تكاثف الدخان فإنه سرعان ما يتبدد.. وهذا من نعم الله وإلا لفسدت أذواقنا!!

- مادمت قد تحدثت عن إفساد الذوق.. ما نراه الآن منتشرًا بين الطبقات الشعبية من غناء هابط وغث ومبتذل. وحتى بدون ترابط وإنما مجرد كلمات من هنا وفقرة من هناك.. بلا فن.. بلا معنى غير المفارقة اللفظية.. ومع ذلك يعبأ في الأشرطة ويتهافت عليه الناس ويتحول أصحابه إلى أرباب عمارات.. ألا يشكل هذا جريمة لإفساد الذوق العام.

  - ما تندد أنت به وترتجف منه أعتبره أنا ظاهرة صحية.. لأنها تسمى الأشياء بأسمائها.. وهذا يتيح لنا أن نكتشف مكامن الخطر.. بدلاً من تغليف السموم على أنها أدوية.. وكما يقاوم الجسم الميكروبات الغربية وتبدو عليه مظاهر الحمى فيبادر بالعلاج.. لقد ظهرت أغاني التهريج باسمها الحقيقي في مواجهة أغنيات تغلف تهريجها بالسلوفان.. ولم تزعم كما أدعت الأخيرة أنها أغنان راقية، ومن هنا علينا المبادرة بالعجلا.. إنهم يقولون إن المنولوج أخذ ينقرض.. ليس هذا صحيحا عندنا إلى منولوجستات.. إن هناك نصوص أغان لا يكفيني أن أقف أمامي مبنى الإذاعة وأضع أرجل أصحابها في (فلكة) عقابًا على ما اقترفوه في حق الذوق العام.. ولكن المسئول عن ذلك هو المطرب ولا أحد غيره، فإذا أتيح للبعض منهم أن يكون فقط على بعض الثقافة الموسيقية فهود مجرد تمامًا من الثقافة الأدبية.. ومن هنا تأتي سيطرتهم على المؤلف المسكين الذي يرضخ لما يتمشى مع أذواقهم حتى يذاع اسمه!

- قرأت لك مؤخرًا قصيدة تتحدث عن عذاب الشاعر الذي تلاحقه مصلحة الضرائب، والمفارقة أن القصيدة كانت منشورة في مجلس الضرائب ذاتها.. وليس هذا ما يعنيني، ولكن عندما قيل إن الدولة قد اتجهت لإعفاء الفنانين والأدباء من الضرائب ثارت زوبعة تعارض هذا..

باسم كيف يعفي من كسب الألوف بينما يدفع الشعب الكادح التزاماته الضريبية.. ما رأيك أنت في هذه القضية كشاعر أعرف أن الضرائب تلاحقه؟

- إن الإعفاء الضريبي لا يجب أن يشمل غير الفنانين والأدباء والخالقين من شعراء وصحفيين وكتاب قصة وملحنين.. أما الذي يستفيدون من أعمال غيرهم بالأداء أ والتسويق كالمطرب والراقصة والمنتج السينائي أو أصحاب شركات الأسطوانات فالأمر يختلف بالنسبة لهم.. نحن الكتاب فقراء ومهما سخرنا كل ما فينا من طاقة فسيظل الواحد منا طيلة عمره لا يمن أن ينال ما يكسبه ممثل أو منتج في موسم واحد.. على سبيل المثال لقد تقاضيت عن أغنية "يا أمة العمر على الباب" خمسة عشر جنيها بينما الطبال الذي يصاحب فرقة فايزة أحمد تعدى إيراده عن هذه الأغنية وحدها في حفلات فايزة الألف جنيه.. إن المؤلف والأديب والملحن ليس له معاش يحتمي به عندما يتوقف عن الإنتاج.. أنا رغم حصولي على أكبر أجر في تاريخ مهنتي إلا أنني أجد نفسي عاجزًا عن سداد ما تطالبني به الضرائب.. أي أنني حتى الآن لم استطع أن أنال ما أعيش وأسدد به ضرائبي. ولهذا فقد حجزت المصلحة على جميع ما ورثته عن أبي. إنني نادم تمامًا على ممارستي لهذه المهنة.. ولكنه قدري.. أقول لمصلحة الضرائب لسنا تجارة خردة ولا أصحاب كباريهات.. ليس لنا ما نقتات به غير مداد القلم فدعونا نعيش بلا منغصات.. ارفعوا أيديكم عنا وأذهبوا إلى الأغنياء.

- قلت في النهاية لمرسي جميل عزيز.. يبدو أنني أرهقتك.. ما أكثر ما عندي لأتحدث فيه معك.. ولكن سأكف.. وأنت هل لديك في النهاية ما تحب أن تقوله؟

- أريد أن أقول كلمة لمحمد عبد الوهاب بالذات ولنقادنا أيضًا؟ لنقادنا أقول إن فن الأغنية ينتظر منكم جهدًا لتقويمه ومواكبته.. إن فن الأغنية من أخطر الفنون تأثيرًا في جماهير شعبنا.. إن دور شخصية واحد مثل محمد عبد الوهاب ربما يكون أخطر من دور طه حسين وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ مجتمعين، وقد يجد البعض في هذا لقول مبالغة، ولأول وهلة، ولكن عندما تتعمق الأمور فعلينا أن نسمي الأشياء بأسمائها.. لهذا فلابد من نقد متخصص ودراسات مستفيضة لهذا الفن البالغ الخطورة يتناسب مع أهميته القصوى في حياتنا الاجتماعية..

أما كبيرنا الذي علمنا السحر الفنان محمد عبد الوهاب فأنا أناشده أن يعكف لنا على كتابة مذكراته، كتابة عميقة لا تتناول مجرد الأحداث بالطول والوقائع ببل بالعمق والدلالة.. وكيف استطاع أن يتبوأ قمة القمم.. إن هذه المذكرات سوف تكون شاهدًا على عصر بأسره بكل

أبعاده السياسية والاجتماعية والفنية.. وليس غير عبد الوهاب من الذكاء والخبرة والاقتدار وحضور الذهن من يستطيع أن يلقى لنا الضوء على هذا العصر أناشده، أن يفعل هذا قبل أن يفوت الأوان.. ويصبح المجال خاليًا للأدعياء ومخترعي الأساطير كما حدث بعد رحيل أم كلثوم..

مارس سنة ١٩٧٦

محمد جبريل

روائي يفوز بجائزة النقد

عندما طالعت اسمه كفائز بجائز الدولة التشجيعية، اهتزت مشاعري بمسرة متناهية غامرة.. فبجانب عاطفة حب أكنها له من أمد بعيد عندما تلاقت خطواتنا في درب الأدب. هو صديق من الذين يبذلون الود صفوًا، والحب خالصًا. ويملكون النقاء في مواجهة الزيف. والصدق في مجابهة الأغراض، وزميل تفعم مشاعره الرغبة في العطاء، والنظر الموضوعية التي لا تنتمي إلى شلة ولا تستهدف في كل ما تكتبه غير وجه الحقيقة.. وقد كان واحدًا من الذين حملوا هموم قضية جيلهم وكافحوا من أجل انتصارها بعيدًا عن الانغلاق والتعصب والذاتية.

بجانب عاطفة الحب هذه التي فجرت السعادة في قلبي، أحسست للتو بأن هذا الانتصار لا يخص محمد جبريل وحده.. إن فوزه يعني جيلنا بأسره.. فهذه هي المرة الأولى التي يفوز بها واحد من جيلنا.. جيلنا المكافح الذي جاء ليؤكد أصالته وإضافته حاملاً إحساس هذه الأرض ومعاناتها، وشوقها إلى الحرية والعدل، وقدرتها على العطاء والإبداع.. والحقيقة أن السمة التي تطالعنا في أعمال محمد جبريل سواء في مجال القصة والرواية أو في مجال الدراسة الأدبية. أو من خلال كتابته عن قضية أدباء الأقاليم هي أن مصر هي المنطلق الذي يتصدر عنه كافة تلك الأعمال.

وهذا لقاء مع روائي فنان فاز مؤخرًا بجائزة الدولة التشجيعية في النقد عن دراساته "مصر في قصص كتابها المعاصرين".

- قلت للأديب محمد جبريل؟

من كتاباتك يتضح اهتمامك البالغ بمصر وقضاياها. ألاحظ هذا منذ أمد بعيد في موضوعاتك النقدية والأدبية. وقد تبلور هذا بجلاء في الدراسة التي نلت عنها جائزة الدولة التشجيعية مؤخرًا، أعني كتابكم (مصر في قصص كتابها المعاصرين) فهل يمكن أن نتلمس البداية؟

- في الحقيقة، بدأت الدراسة خاطرة في ذهني. كيف تبدو صورة مصر بالتأمل في أعمال الأدباء. واقترنت هذه الخاطرة برغبة ملحة وضرورية أن أتوقف عن العطاء الفني حتى أتيح لنفسي فرصة الاطلاع والقراءة على نحو واسع ومتعمق وراصد.. فضلا عن عامل هام هو رغبتي التواقة في أن أصادق شعب بلادي أولاً قبل محاولة التصدي للتعبير عنه.. ولأن الخاطرة لم تكن سوى علم له كراريسه في كل الجامعات الأوروبية وهو علم الاجتماع الأدبي. فقد كان إقبالي على إعداد الدراسة نوعًا من التطبيق لهذا العلم.. وبالطبع لم تكن أمامي زيادة مصرية من أي نوع في هذا المجال، بل علي لا أكون مبالغًا عندما أقول بأن بدايتي كانت من تحت الصفر بدرجات.. ومن هنا فقد كان تصوري للعامين اللذين قدرت أنهما يكفيان للتوقف عن العطاء الفني وإنجاز الدراسة تقديرًا خاطئًا إلى حد كبير.. لقد امتدت الأعوام منذ عام ١٩٦٣ حتى الآن، وكان الجزء الأول والذي صدر منذ عامين هو محصلة هذا الجهد الطويل. ولعلي أوشك الآن على الانتهاء من الجزءين الثاني والثالث..

- ولكنك لم تذكر لي الدوافع التي ساقتك إلى كتابة الدراسة؟

- أعتقد أنني أشرت إلى ذلك في مقدمة الدراسة، وإن كان الهدف منها باختصار هو الرد على السؤال: هل لدينا كاتب مثل جوركي يجوب أطراف مصر مدفوعًا بحبه الشديد لأرض وطنه وناس بلاده.. يرى كيف يعيش هؤلاء الناس ويتفهم روح شعبه.. فضلاً عن كوني كنت أعاني أزمة "كاتبًا" بطله تشيكوف التي أحسست أنها لا تستطيع أن تواصل الحياة دون هدف لهذه الحياة دون هدف لهذه الحياة. وان أستاذها عاجزًا عن أن يجيبها على سؤالها الكبير: "ماذا ينبغي على أن أفعله.. ما هو هدف الحياة؟.

- قولك هذا يسوقنا إلى قضية الالتزام.. هل تؤمن بالتزام الأديب؟

- يقول جورج أورويل، إنه لو قيض له أن يعيش في عصر غير هذا العصر. وفي زمن يسوده السلام لكان من الجائز أن ينصرف إلى الكتابة المتوغلة في الزركشة والتجميل، وأعتقد أن هذا ما كنت سأفعله بدوري لو أن ظروف عصرنا كانت مختلف عما هي عليه.. والالتزام قضية يثيرها النقاد كما يثيرون قضية المحلية والعالمية وغيرها من القضايا التي أُغرموا

بالسفسطة حلوها، فكلها القضايا البديهية لا تحتاج إلى جد وضياع وقت.. فأنا لا أستطيع أن أتخيل أن هناك كاتبًا غير ملتزم أساسًا. فالدافع الأول المؤدي إلى الكتابة يتمثل أساسًا في الدفاع عن قيمة إنسانية ما، وتوصيل وجهة نظر. وتحديد موقف معين من الحياة.. وإذا فقد الكاتب الشيء الذي يريد توصيله، فإنه يدخل منطقة انعدام الوزن. حيث يفقد شخصيته وهدفه، ويتحول أدبه إلى مادة هلامية لا لون لها ولا طعم ولا رائحة.. ولا يمكن أيضًا للفنان أن يدافع عن أشياء مدمرة لروح الإنسان، وإلا تحول إلى مجرم في حق نفسه وحق الإنسان، لأن الفن التزام بالدفاع عن كل ما هو خير.. وكل ما هو شرف.. وهذا يختلف- إلى حد التناقض- مع الالتزام.

- هذا يؤدي بنا إلى مناقشة مسألة ارتباط الفنان بوطنه، وهل هذا الارتباط شرط أساسي في اعتقادك لصدقه الفني، وصدقه الإنساني؟

- في اعتقادي أن الصدق الفني لا يمكن أن ينفصل أبدًا عن الصدق الإنساني. فليس من المعقول أن تحب أو تتعاطف مع عمل له شكله الدرامي المحكم والجميل. بينما ينطوي هذا العمل على مضمون فاسد يطفئ شعلة الأمل والحياة في نفس الإنسان، مثله في ذلك مثل الجريمة الكاملة التي لا تستطيع الشرطة أن تكتشف سرها، لأنها لا تنطوي على أية ثغرة يمكن النفاذ منها إلى هتك سرها.. فبالرغم من أن الذكاء الخارق هو الذي دبر حبكتها، إلا أننا في نفس الوقت لا يمكن إلا أن نحتقر هذا الذكاء وندينه، لأنه أساسًا ذكاء مدمر هدام.. والفن وجد أساسًا من أجل الإنسان وقضاياه وأهدافه في حياة أفضل. وليس لإفسادها جميعًا.

ولذا فإن كل الأعمال السلبية التي تحتقر الحياة ولا تشارك في دفعها إلى الأفضل والأجمل والأسعد فهي محكوم عليها بالموت والاندثار.. وحياتنا مليئة بالهموم وهي بالتالي ليست في حاجة إلى الفنان المتشائم أو الفنان السلبي الذي يعكف على اجترار رؤى مريضة أو وليدة عقدة ذاتية موغلة في تضخيم أوهامها، ليضيف إلى الحياة ما يزيدها همومًا. وهناك فارق بين هموم بناءة تنطلق من تعاطف مع الإنسان وقلق على مصيره ومعاناة لتعقيدات واقعه. وبين هموم متشائمة تترجم الحياة وتضع أحجارًا في طريق مسيرتها نحو الأفضل.

- مؤخرًا أثير لغط كثير حول قضية المحلية في الأدب. وهل هي المدخل الوحيد إلى العالمية في الأدب. أم أن هناك عوامل أخرى تقف بجانب هذا.

- من البديهي أنه عندما لا يجد النقاد ما يناقشونه فإنهم يخترعونه. وقضية المحلية هي من اختراع النقاد، وهذه الاختراعات هي من التفريعات النقدية التي لا تهمني على الإطلاق ولا تعنيني، لأنني لو اهتمت بها حلوت أعمال إلى نوع من القماش

المفصل. فالترزي لا يفصل القماش طبقًا لمقاييس جمالية بقدر ما يهتم بحجم الزبون ومستويات جسمه. وأنا لا أكتب لزبائن. وإنما لجمهور. و أقول هذا لأن المحلية شيء بديهي لا يحتاج إلى مناقشة. فالفنان هو ابن وطنه وبيئته ولابد أن تحمل كتابته خصائص هذا الوطن وروح هذه البيئة ومكوناتها.. إنه يكتب عن إنسان هذا الوطن وظروفه. فأنا أيعش في مصر. وأعامل أناس من مصر وأتنفس هواء مصريًا وأعاني كل القضايا المصرية المختلفة. فماذا تتوقع مني.. هل أكتب أعمال إنجليزية أو هندية أو إيطالية؟ هل أتوهم مشاكل غير موجودة، وناسًا لا أعرفهم وكائنات وهمية وأمكنة خرافية.. وأنا ابن مصر مهمة فني أن يحتويها بكل مكوناتها وأن يعانقها بكل محتوياتها.. إن من الطبيعي والحتمي والمنطقي أن تكون أعمال مصرية في لحمتها وسداها، وإن لم تكن هكذا فهي ليست بأدب على الإطلاق.. الكاتب المصري لابد أن يكون نبضه مصريًا وإلا فقد هويته.

بل ويجب أيضًا أن يكون عصريًا بمعني أن الكاتب الذي يفتقد حس عصره لا يمكنه أن يعبر عن أي عصر آخر.. والمهم أن يصل هذا الإحساس بالوطن والعصر إلى القارئ. حتى يتمثل نفس التجربة النفسية والخيالية التي مر بها الكاتب قبله.. ومن هنا تأتي المشاركة بين المعطي والمتلقي.

- سؤال.. كان في خاطري أن أطرحه منذ البداية والحمد لله أني تذكرته من بين تفريعات الحوار، معذرة.. أنت تكتب في النقد ولك محاولات مشهودة ولكنك كاتب قصة قصيرة وكاتب رواية وليست بناقد أساسًا؟.. حصولك على جائزة الدولة في النقد الأدبي- برغم أنك لست بالناقد أساسًا كما تؤكد أنت دائمًا- ألا يدين هذا الحركة النقدية في مصر والنقاد بوجه خاص.؟

  - على الرغم من كثرة ما يمكن نسبته إلى النقد في كتاباتي الصحفية والأدبية وغيرها، إلا أنني كنت حريصًا في كل حين على التأكيد بأني أقف خارج أسوار النقد. ولعلي أتصور أن ما حققته بعض هذه الكتابات من التفات إنما مرده في الدرجة الأولى إلى المصادفة الحسنة.

- أعتقد أنك لم تجاوب على سؤالي بما يعنيه تمامًا، ولكني لا أريد أن أفسرك على الخوض الخوض في مسائل ربما تكون غير راغب في الحديث عنها، ليكن.. دعني أسألك: هل يمكن اعتبار دراستك "مصر في قصص كتابها المعاصرين" محاولة نقدية لتلك الأعمال التي ظهرت من خلالها مصر وتناولتها الدراسة؟

- ثمة حقيقية يجب أن نتفق عليها، هي أن النقد الذي يقيس الزوايا والأبعاد ثم يصدر أحكامًا ويدلل عليها، ليس هو محتوى هذه الدراسة ولا غايتها، وأنا لا أتخذ موقف الناقد الذي وصفه تشيكوف بأنه أشبه بذباب الخيل الذي يعرقلها أثناء حرثها، فالآراء التي يضمنها هذا الكتاب هي من قبيل الاجتهادات الشخصية التي ربما كانت أخاء محضة.. وليس يعني هذه الدراسة أن تقف أمام القضايا الأدبية العامة كقضية الشكل والمضمون مثلاً وما يتفرغ عنها من قضايا الفن للفن، والفن للحياة وإن كان الفن في ابسط تعبير شكلاً يحتوي على مضمون. والشكل مهم جدًا لأنه بدون الشكل لا يكون هنا موضوع فني.. الشكل هو الذي يفرق بين شكوى في رسالة وقصة في رسالة.. ولكن انغماس الفنان في لعبة الشكل بون توافقها مع المضمون. أو كونه غير نابع من هذا المضمون الذي يعبر عنه عمله الفني هو من قبيل رسم اللوحات التجريدية ليس فيها غير خطوط وألوان.

وباختصار فإن هذه الدراسة التي تعمدت اختيار بعض الفقرات بصورة مطولة من هذا العمل أو ذاك تهدف إلى أن تدع النصوص نفسها تصور وتعبر. ذلك لأن العمل الفني- بأسلوبه ونهجه الفني. يؤرخ لعصره ويبرز قسماته وملامحه.

- لكل عمل بالطبع إضافات يطرحها في مسار الثقافة، ومن هنا يأتي مبرر وجوده، فما هي الإضافة التي تعتقد أو التي استهدفت أن تحققها هذه الدارسة؟

- في اعتقادي أن هذه الدراسة قد تكون هي الوحيدة التي قدمت صورة صادقة عن مصر من خلال مسح شامل ودقيق لأعمال كثيرة لكتاب مصر خلال الفترة التي دارت الدراسة في إطارها. ولعل هذه الدراسة تساعد على تعزيز قيام "علم الاجتماع الأدبي" الذي يحتاج بعد هذا إلى أعمال أخرى مثل هذه الدراسة. ويمكن أن تساعد على قيام هذا العلم واستناده على أصول ومقومات ونصوص.

- خارج المضمون الأساسي لهذه الدراسة. ما أهم القضايا الأدبية التي خرجت بها من التجربة؟

- لقد أتاحت لي هذه الدراسة- بالضرورة- أن أقرأ الكثير من القص التي عربت عن مراحل متباينة من حياة المجتمع المصري، تلك التي تضرب في أعماق التاريخ، ومن الطريف أن بعض هذه القصص رغم أنها كانت بدايات لهذا الفن إلا أنها كانت تحتوي على كثير من ملامحه ومقوماته ولو أنها كانت غير مؤكدة الحس. كما تكشف لي بفضل هذه الدراسة أن هناك أعمالاً قد لا تمت إلى الفن إطلاقًا برغم إنها

لكتاب كبار. وعلى العكس فإن هناك أعمالاً تتمتع بكل الإمكانيات الفنية لهذا الفن رغم أنها لكتاب صغار.

- والآن.. ماذا عن مشروعاتك للمستقبل؟

– أعود من جديد للتأكيد بأني أقف خارج أسوار النقد، وأن اهتماماتي الأساسية في المقام الأول هي القصة والرواية.. وبعد مجموعتي القصصية الأولى "تلك اللحظة في حياة العالم" وروايتي الأولى " الأسوار" فأنا الآن أعد لإصدار مجموعتي القصصية الثانية" متتابعات لا تعرف الانسجام: كما أنيي بدأت في كتابة روايتي الثانية "حكايات عن جزيرة فاروس" وفي الذهن بالطبع أعمال أخرى لم تتحدد بعد عندي ملامحها النهائية.

فبراير سنة ١٩٧٦

فاطمة سليم

عن الأدب في تونس

- غالبًا كلما قدم إلى قاهرتنا أديب من أي قطر من أقطار المغرب العربي وجدناه يبادرنا بالعتاب لكون الحركة الثقافية في مصر لا تتابع – بل لعلها تجهل– ما يدور من أنشطة ثقافية في هذه الأقطار العربية الشقيقة.. وأحيانًا يتصاعد هذا العتاب إلى حد الاتهام بالتقصير من جانبنا، ولكنه في كل الأحوال ينطلق من دوافع الحب والتقدير للقاهرة والاعتراف بدورها الرائد ومكانتها الحضارية عند هذه الأقطار التي تتطلع إليها وتعايش كلل ما يصدر عنها.. وفي الحقيقة فإن هذا العتاب يثير قضية لابد من إيجاد الحلول لها.. إن عملية تنشيط التبادل الثقافي بين أقطار العروبة بصورة منتظمة ضرورة أولية يجب أن تكون جزءًا من عمل وزارات الثقافة في كافة بلادنا العربية. كما أنها مهمة أساسية من مهام اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية لابد من تنسيق لعملية توزيع المطبوعات في أقطارنا العربية وتبادل الأفلام والمسرحيات ومعارض الفنون التشكيلية. وتبادل الزيارات بين الأدباء والفنانين والاتصال المباشر بينهم في جميع أرجاء وطننا العربي.
- ونفس العتاب سمعته مؤخرًا من الأديبة التونسية فاطمة سليم خلال زيارتها الأخيرة للقاهرة.. وفاطمة سليم قاصة صحفية تحرر في مجلة "المرأة" التي يصدرها الاتحاد النسائي في تونس. وتنشر قصصها القصيرة في مجلة "قصص" وكذلك مجلة "الفكر" كما تذاع قصصها في الإذاعة التونسية. وقد صدرت لها في الستينات مجموعة قصصية بعنوان "نداء المستقبل" وفي عام ١٩٧٤ صدرت مجموعتها الثانية "تجديف في النيل" وهذا لقاء من الأديبة التونسية الشابة.

- قلت للأديبة التونسية فاطمة سليم: ألاحظ أن إنتاجك الأدبي لم يخرج عن إطار القصة القصيرة.. هل يكمن وراء هذا الاختيار لتلك النوعية موقف ما يواكب تجربتك مع القصة القصيرة؟

  - ما زالت القصة القصيرة بالنسبة لي هي أقدر الأشكال الأدبية طواعية للتعبير عن موقفي من الحياة والناس والأشياء. وحتى الآن لا أجد عندي الرغبة في تجربة أشكال أخرى من الفن. ولكن من يدري في أجدني في المستقبل قد اتجهت إلى أشكال أخرى. قد أجد أن تجاربي الفنية يلائمها السمرح أو الرواية، أما الموقف خلف تجاربي القصصية فهو التعبير عن مشاعري وتجاربي ووجهة نظري في الواقع، وفي البداية كانت قصصي تكتب بمجرد السليقة أو الموهبة كما يقولون- إن جاز أن أدرج في منطقتها- ولكن بعد القراءة المكثفة والمتصلة والاقتراب من منابع الثقافة وجدتني أتجه إلى التجريب في إطار القصة القصيرة، فقد كانت مجموعتي الأولى "نداء المستقبل" تقليدية لا تضيف شيئًا مثمرًا ومتميزًا في القصة وفنها، ولكني في مجموعتي الثانية "تجديف في النيل" نحوت إلى التجديد في الشكل القصصي الذي يبلور تجربتي الفنية.. ولا أعرف إن كنت نجحت في هذا أو لم أوفق.

- بعد قراءتي لمجموعتك "تجديف في النيل" أجدني متفقًا مع الكتاب التونسي محمد العروسي المطوي في تقويمه لهذه المجموعة التي تضم ما يمكن تصنيفه- من ناحية الأسلوب- في نوع الأدب القصصي، والبعض الآخر من نوع اللوحات والخواطر كما يمكن اعتبار جانب آخر منها من باب الشعر المنثور؟

  - قلت إنني أجرب. ومن حق النقد أن يضع تجاربي في الوضع الذي يراه. المهم أني صادقة مع نفسي ومع تجربتي الفنية. ومن خلال هذا الصدق مع نفسي ومع هذا الفن قد أصل إلى ما يجعلني أتجاوز تجاربي الراهنة.. ومهما يكن من أمر فكل الذي تناولوا تجاربي القصصية بالنقد نوهوا عن قيمة كتابتي وصدقها ورؤيتها الملتزمة وكونها تأتي تأكيدًا لقدرة المرأة التونسية على أن تكون أدبية وفنانة ومؤثرة في ثقافة بلادها.

- من هم الرواد الذين مهدوا طريق القصة في تونس؟

  - على الدوعاجي.. العروسي المطوى، البشير خريف.

- والرؤية الجديدة عند مَنْ مِنْ جيل الشبان نجدها؟

- عندنا عز الدين المدني، أحمد ممو، إبراهيم بن مراد، عبد الواحد براهم، عروسية نالوتي.

- تجاربكم الفنية في تونس هل تسوقونها بالعربية الفصحى، وما موقع العامية في إنتاجكم؟

- أكثريتنا المطلقة تكتب بالعربية الفصحي.. البشير خريف هو الذي يكتب بالعامية خاصة بلغة أهل "الجريد" موطنه وهي موطنه وهي منطقة في الجنوب التونسي مشهورة بالذكاء والأصالة والمواهب ومنها جاء الشابي شاعرنا الأشهر.. ولها طابع خاص ونكهة خاصة، لهذا يصر البشير على أن يعبر عنها بلهجتها المحلية.. ونحن في تونس نؤيد موقفه هذا برغم أن أغلبنا يكتب بالعربية الفصحى.

- القصة القصيرة في تونس.. الآن هل هي مزدهرة؟. أنا أتابعها فحسب من مجلة "الفكر" و"قصص" وليست متابعتي دائمة. في الحقيقة تكون بالمصادفة عندما أجهما في السوق أو مع زميل.. لها لا أستطيع أن أصدر حكمًا عليها؟

- في الحقيقة تمر القصة القصيرة الآن بمرحلة فتور.. لا من حيث الوجود. فما أكثر ما يكتب. وإنما من حيث النشر بسبب تقلص الماسحة التي كانت متاحة للقصة في الصحف وفي الإذاعة. لقد اتجهت الأهداف القومية في تونس إلى التكنولوجيا وأصبحت الصحافة والإذاعة تساير ذلك.. كانت الصحافة تهتم بالقصة وكانت الإذاعة تقدم المواهب الجديدة.. نتيجة الاهتمام بالتكنولوجيا من أجل نهضة علمية في تونس، لم تعد المواهب الشابة تجد المجال متسعًا.. هناك ازدهار في الإنتاج وفتور في النشر.. ولكن الإنتاج يترعرع في المنتديات الأدبية فحسب انتظارًا لنشر أوسع مجالا.

- ما هي القضية التي تشغلك في كتابتك أو تستأثر بالجانب الأكبر من الاهتمام في هذه الكتابة؟

- قضية المرأة عمومًا هي التي تشغلني والتي أجدني مدفوعة إلى الإصرار على أن تنتصر المرأة في هذه القضية.. أردها أن تجتاز واقعها الراهن في عالمنا العربي إلى واقع أفضل تتأكد فيه جدارتها ومواهبها ومساواتها بالرجل على جميع المستويات. ما أسعى إلى تأكيده دائمًا هو تغيير النظر ة الخاطئة للمرأة من أنها أدنى من الرجل.

- ما دمنا قد تحدثنا عن قضية المرأة واهتمام أدبك بهذه القضية.. يخطر لي سؤال، هل هناك أسماء نسائية لها أصواتها المتميزة وسط ما يعزف أدبًا في تونس. وهل أعطين ما يماثل قيمة ما أعطته الأصوات النسائية في أدب المشرق العربي.

- في الحقيقة توجد نهضة أدبية نسائية في تونس لا شك في قيمتها ومحاولاتها الدائبة لإثراء حياتنا الثقافية وافسهام في تيارها.. عندنا أسماء لها تاريخ مديد مثل ناجية سامق.. وعندنا هند عزوز، وخيرة الشيباني، وجميلة الماجري وعروسة نالوتي، ونتيلة التبانية، ونافلة ذهب، وفاطمة المدريدي وغيرهن. ولكني أصارحك القول بأن الأدب النسائي عندنا لم يصل إلى المستوى الذي وصل إليه الأدب النسائي في المشرق خصوصًا في مصر، وذلك لظروف تاريخية واجتماعية ليس هنا مجال للحديث عنها. ولكن الظاهرة التي تبشر بالخير أنهن جميعًا يمتلكن ثقافة عصرية متسعة وأن الأدب النسائي عندنا ليس ضخم الكم فذلك لأن المرأة الأدبية عندنا مشغولة بقضايا المجتمع، وكلهن يتحملن مسئوليات اجتماعية في خدمة الحياة القومية التونسية. بجانب أن بعضهن موظفات وربات بيوت.

- هل كان لأدب المشرق وللأدب المصري تأثير في الأدب التونسي؟

- نحن أمة واحدة ذات تراث مشترك ولغة موحدة، ومن الطبيعي أني يحدث التفاعل، وأدب المشرق مقروء إلى حد كبير في تونس.. ونحن في تونس نعرف كل الكتاب المصريين. ونتابع المحاولات الجديدة من جيل الشبان عندكم ونناقشها في منتدياتنا الأدبية.. ولكن إنتاجنا القصصي بالذات له طابعه الخاصة وهو عمومًا يحمل سمات المجتمع التونسي وغير متأثر بالنتاج المصري أو غيره.

- ألم تحدث الموجة الجديدة من الشبان عندنا تأثيرًا في إنتاج الشباب لديكم؟

- الموجة شملت الجميع عندنا وعندكم.. لأنها جاءت من الغرب أساسًا. وإذا كانت قد أحدثت تأثيرًا فلستم أنتم ولا أدباء المشرق مصدره.. لقد كانت موجة عالية.. ولكني ألاحظ أنها في المشرق عنكم في المغرب عندنا قد أخذت في الانحسار والجزر.. والدليل على ذلك وقفات الصمت التي يقفها الآن بعض الكتاب من أدباء هذه الموجة. وفي اعتقادي أن الموجة قد امتدت ووجدت استجابة نتيجة لظروف سياسية معينة كانت تسود منطقتنا العربية خاصة بعد عام ١٩٦٧ حيث كان الضباب يكتنف الأفق وكان اليأس والتمزق يحيط بكل أقطار الذات العربية. ولكن بعد أن أعادت حرب أكتوبر الثقة للإنسان العربي وجلبت له وضوح الرؤية والإيمان بالذات.. فإن هذه الموجة تتراجع لتفسح الطريق لمعطيات مغايرة سوف تفرزها فترة المخاض الراهنة.

يناير سنة ١٩٧٦

رقم الإيداع ١٩٧٨/٣٢٦٩
الترقيم الدولي I.S.B.N 977-247-311-9

٧٨/٣٨/ق

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)

اقرأ

الكتاب القادم

الإذاعة وبناء الإنسان

إيهاب الأزهري

هذا بحث في الإذاعة يعرض فيه المؤلف بأسلوب إذاعي رشيق عناصر هذا الفن الذي يتصل بالإنسان من أقرب الطرق ويساهم في بناء عقله ووجدانه ومستقبله أيضًا.

وعلى ضوء تجربة المؤلف الطويلة يشعر القارئ بالإخلاص في العرض، والرشاقة في الأسلوب، والمتعة في ربط القارئ بالكلمة المسموعة.. ذلك الصدى المباشر للكثير من تفكيرنا ونظراتنا اليومية.